سنة ١٩١٧

فشل المخابرات مع الانجليز ومحاولتي التوفيق بين الخديو والاتراك — الاحتفال ببلوغ عبد المنعم سن الرشد — البرنس عبد المنعم وولاية العهد — سفري الى الاستانة — عودة الخديو الى الاستانة — كيف تلقى الخديو خبر وفاة السلطان حسين وتولية السلطان فؤاد — بيني وبين عباس — بين الخديو وولي عهده

فشل المخابرات مع الانجليز ومحاولتي التوفيق بين الخديو والاتراك :

انتدابي للتفاهم مع الاتراك : في يوم ٢ يناير اجتمعت بعبدالحميد شديد ، وتحادثنا في الحالة الحاضرة ، فقلت له : « إن الوقت مناسب للسعى عند الاتراك والألمان ، وتحسين سياستنا معهم ، وإلا فأننا نخرج « من المولد بلا حمص » على رأى المثل العامي ، وأن الخديو أمامه الباب المفتوح من ناحية أنور باشا المعروف بصداقته له ؛ فلماذا لا يلج هذا الباب ؟ » .

فقال شديد : « إننى أميل جداً لاتخاذ خطة معينة ، والانضمام إلى إحدى الهيئتين : إما الأتراك وإما الأنكليز ، فذلك أولى من وقوفنا الآن موقف المتحير » ثم سألنى عما إذا كنت أقبل السفر إلى الأستانة للتفاهم مع الاتراك ؟ فقلت له : « كان الأولى بذلك جلال الدين باشا » فأجابنى بأنه رفض خشية حجزه فى الأستانة ، قلت : « وهل هذا السؤال من عندك ، أم أن الخديو هو الموعز به ؟ » فضحك وقال : « هو يرغب ، ولكنه يخاف عليك من الأنجليز » فقلت له : « إننى على استعداد لما يأمرنى به ، لانى أريد خيره ، وهو ولى نعمتى ، ومن قبله والده ، وإن كنت أتوقع الضرر من جانب الأنجليز فى أموالى بمصر ، إلا أننى مستعد للتضحية ، فأنا « محروق » أول مرة ، وقيامى بهذه المهمة لن يزيد هذا الاحتراق ، وأن لسموه أصدقاء مثل ملك بلغاريا ومثل الدوق دومكلمبورج ، وغيرهما من الألمان والنمسويين ، فلماذا لا ينتفع بصداقتهم؟» قال شديد : « علىّ أن أعرض للخديو هذا الموضوع » ثم أبدى لى رأياً فحواه : أننا نطلب أولا من الأتراك تنفيذ مشروع الحملة على مصر ، فأذا لم

يجيبونا إلى ذلك طلبنا منهم ضمانات مالية إذا صادر الانجليز أملاك الخديو في مصر وافترقنا على ذلك .

سعي الخديو لدى الانجليز ومناوراته : وبعد يومين اثنين من هذا الحديث قابلت موسيو بارودى ، فسألني عما يعمله الخديو الآن ، فأخبرته أنني لا أعلم شيئاً ، فقص علي : أن سموه قد فاتح الانجليز للاتفاق معهم ، وتسوية موقفه على يد معتمد البلجيك في فينا سابقاً فعينوا «اللورد أكتون» المقيم مع معتمد انجلترا فى برن للتفاهم وإياه ، وقد اتفقا على أن ينزل عن حقه فى الخديوية فى مقابلة تخصيص مبلغ ٢٥ ألف جنيه سنوياً له ، ورفع الحجز عن أملاكه فى مصر ، وضمان أملاكه فى تركيا ، ومساعدته فى مسألة وقف والدته ليكون له نصيب فيه .

وبعد هذا ذهب الخديو ، وقابل فؤاد بك سليم سفير الدولة ، وأخبره بما يعرضه عليه الانجليز ، وطلب منه معرفة رأي الدولة ، وهل تضمن له مثلما يضمن له الآخرون ،

ثم قال لي : « والخديو كما هي عادته لم يحفظ سر أعماله هذه ، بل أذاعها ، فانتشر الخبر فى جنيف ولوزان وغيرهما ، وأخذ يوسف صديق وأمثاله يذيعونه ، فغضب الانجليز لذلك ، وعزموا على إهمال الموضوع ؛ ويسرني ياباشا أنك لا تعلم بما حصل وإلا لو أنك تدخلت لنالك انتقاد » فأخبرته أن الخديو يعمل برأيه ، ولا يطلعنا إلا على الظواهر . قال : « ومن الأسف أن أعماله هذه ستؤدى به إلى الخسارة ، لأن الانجليز في استطاعتهم أن يوعزوا إلى البنك العقارى في مصر بعرض أملاكه للبيع سداداً لديونه ، فتباع بأبخس الأثمان ، دون أن يعمل الانجليز شيئاً ظاهراً يؤخذ عليهم »

ولما أخبرني بارودى بذلك ، وكنت أعلم أنه متصل بالانجليز ليقوم باطلاعهم على كل ما يعلمه من أخبار الخديو والمصريين ، تذكرت أن عباساً قال لي في العام الماضى : « أنا سأعمل مع الانجليز ، وإذا انتهيت إلى شيء أعرضه على الأتراك وأطلب منهم بيان ما يعملون هم لصالحي » وقدرت في نفسى خطورة هذه الخطة ، وأنها لعب بالنار ؛ وقد تصل بنا إلى سوء التفاهم مع الفريقين .

مقابلتي لفؤاد بك سليم : وفي يوم ١٤ يناير اجتمعت بفؤاد بك سليم سفير الدولة فى برن ، وتحادثنا في عدة شئون تتناول الحرب ، وأعمال الانجليز الحربية فى شبه جزيرة سينا ، وما كان يقال عن المخابرات الدائرة عن الصلح . . . الخ . ثم تدرجنا في الحديث إلى الخديو فسألته عما إذا كان هناك تحسن في علاقات سموه برجال الدولة ؟ فأجابنى بأنه لم يتلق شيئاً من الاستانة بخصوصه ، ثم قال لى : « إنه حصلت مسألة ولو أنها بسيطة إلا أنها غير لطيفة ، ذلك أننى طلبت بناء على رغبة الخديو خادماً من الاستانة ، ومعه بعض الأمتعة الخديوية ، فرخص له فى السفر إلى فينا فقط ، ولا يزال محجوزاً هناك »

وفهمت أنه يريد أن يبرهن بذلك على سوء العلاقات ، فقلت له : « وماذا نعمل للوصول إلى غرضنا من حسن التفاهم ؟ فأجابنى : بالسعى لدى الألمان . ولكن لاحظت أن الأتراك لا يرغبون في ذلك . قال : « كان على الخديو أن ينتهز فرصة وجوده فى فينا ، ويقابل امبراطور ألمانيا مباشرة » فأخبرته بفشل الخديو فى محاولة هذا عدة مرات . فأجابنى بأنه لو شهد حفلة جنازة الامبراطور النمسوى لنجح ، وتحسنت علاقته بالامبراطور . فأجبته أن الخديو احتج بعدم وجود كسوة رسمية لديه لأنها في الأستانة

ثم أبدى لى انتقاده لرجال الحزب الوطنى ، وخطتهم التى وسعت هوة الاختلاف بما كانوا يشيعونه عن مطامع الأتراك فى مصر .

مقابلة شديد بك : وفى اليوم التالى قابلت عبدالحميد بك شديد ، فأخبرته بكل ما دار بينى وبين بارودى والسفير ، فاستغرب تصرفات الخديو ، ولا سيما عرضه على سفير الدولة مخابراته مع الانجليز ، واستبعد ذلك . وأخيراً انتهينا إلى إرسال برقية إلى الخديو فى زوريخ (وكان قد انتقل اليها) نطلب مقابلته لمسألة هامة وقد جاءنا الرد بالتوجه إلى « تريتيه » وكان شديد أخبرنى أنه أبلغ سموه استعدادى لكل عمل ، فاستحسن ذلك ولم يبد رأياً ، وقال لى شديد : « إنه ربما فاتحك فى هذه المسألة »

مقابلة الخديو : وفى يوم ١٧ ذهبت للمقابلة ، فعرضت على سموه ما قاله لى بارودى : فقال : « هاهم أولاء منذ شهرين يشيعون أن الاتفاق بينى وبين الانجليز

قد تم ؛ ولكن الواقع غير ذلك » ثم أبدى استغرابه لمسألة وقف والدته ، فقال : « انه لا يعلم شيئاً عن هذا الوقف الذى قيل إنه عمل منذ شهور » وأبدى دهشته من قول سفير الدولة : انه لم ترد اليه مخابرات بخصوص الخديو فى الاستانة فقلت : « ربما علموا بمخابرة الانجليز فامتنعوا عن الحديث معنا » . وأخيرا ودعت سموه دون الاتفاق على قرار معين .

مقابلة البرنس محمد على وانتقاده شقيقه : ومررت بعد ذلك بالبرنس محمد على باشا ، فدار الحديث بيننا فى الشئون الحاضرة ، فانتقد الخديو قائلا : « كل الناس تعلم بمخابرته مع الانجليز مع انه يفهم أن أحداً لا يعرف سره ، وأنه لا يوجد من هو أحذق منه ، فيريد أن يلعب بالأنجليز وبالأتراك وهذا مستحيل . وواسطته هو ملحمة باشا المعروف بميله للفرنسيين والانجليز » . وقال : « إن فؤاد بك سليم كلف شديد بك أن ينصح للخديو بترك سويسرا الفرنسية ، ولكن ها هو ذا لا يزال فيها » ! ثم أخبرنى أن النمسويين مستاءون كذلك لعدم حضور الخديو جنازة امبراطورهم حتى إن سموه لقى الأمير « مترنيخ » وكان زميلا له فى الترزيانوم ، فأراد أن يعتذر له بأنه لم تكن معه كسوة رسمية ، فرد عليه الأمير قائلا : « لا تحادثنى كما تحادث رجال السياسة ، فأنا أعلم أنه لو كانت عندك كسوة ما ذهبت ! » وعندئذ صمت الخديو .

مقابلتى مع قنصل النمسا : وفي يوم ١٩ منه اجتمعت بالكونت دى تورن وأفهمته أننى أخشى أن يكون الخديو في مخابرات مع الانجليز ليتفق وإياهم ، مع أنه يعهد الى من وقت لآخر في مساع عند سفير الدولة لتحسين العلاقات . فاذا سمع السفير بذلك فانه يعتبرنى غشاشاً أو غبياً وكلاهما لا أرضاه لنفسى ، وانى أفضل الاستقالة على ذلك ، لولا أن انفصالى قد يجعله يرمى بنفسه فى أحضان الانجليز . وقد فكر الكونت ثم قال : « هذا صحيح ولذا فلا يحسن انفصالك الآن »

مقابلتى مع پارودى مرة أخرى : وفى يوم ٢٠ منه اجتمعت بموسيو پارودى فأخبرته أنى سأقابل الخديو قريباً ، فهل أطلعه على ما علمته منه ، فقال لى : « إننى قابلت أمس « فردريك » خادم الخديو ، وكلفته أن يعرض على أعتابه تهنئتى له بالمخابرة الحاصلة بينه وبين الانجليز ! » وأبدى لى أسفه على اذاعة رجال الحاشية الخبر مما عطل سير المخابرات . وقال : « ولماذا لا تكون أنت ياشفيق باشا واسطة

هذه المخابرات الهامة بدل توينى بك[١] وملحمة ؟ نحن نعلم أن هؤلاء السوريين غير مخلصين » ثم حادثته في مسألة وقف الوالدة فقال : « إنه لم يتأكد منه بعد » ، وأخذ يبالغ لى في منزلته الشخصية عند الانجليز !

من الذى أذاع سر المحادثات ؟ وفي يوم ٢٤ قابلت الخديو فأبلغته مادار بينى وبين پارودى ، فنفى لى أن رجال الحاشية هم الذين أذاعوا سر المحادثات لأن أحداً منهم لايعرف ذلك . وأن أعداءه المتصلين بالانجليز مثل يوسف صديق ومحب باشا ربما كانوا هم الذين أذاعوا ذلك. وبعد خروجى من عنده جلست مع شديد ، فتحادثنا في هذه المناورات التى يقوم بها دون فائدة ، وعلة استقراره على حالة ، ثم فكرنا فى مسألة اقامته بعد الحرب ، وهل ستكون فى الاستانة أم غيرها ، وكذلك فى مسألة ولى العهد ، وهل يشمله التنازل الذى يقرره الخديو ؟

وقد قابلت پارودى يوم ٢٩ منه فسألته عن هاتين المسألتين ، فلم أجد لديه معلومات عنهما ؛ وأخبرته بأن إذاعة سر المحادثات لم تكن من ناحية الخديو، فاقتنع بذلك

مناورات الخديو بين الأتراك والأنجليز : وفى هذا اليوم قابلت الخديو وعلمت أنه سيغادر « تريتيه » بعد أيام قلائل ، وكلفنى أن أخبر فؤاد بك سليم بهذا وألا أترك الاتصال به ، وقد أفهمنى أنه يقصد بذلك إثارة الاهتمام عند الأنجليز بموضوعه ، لأنهم إذا علموا بقطع صلاتنا مع رجال تركيا فانهم لايهتمون بنا ! . وقد قمت بهذه المهمة يوم ٥ فبراير

استقالة البرنس سعيد حليم من الصدارة : وبينما كنت عند السفير جاءته برقية من الاستانة تنبئه بسقوط نظارة سعيد حليم ، وتشكيل النظارة الجديدة برياسة طلعت باشا ، مع الداخلية والمالية ، التى كان بها عباس حليم ، شقيق الصدر السابق ، فخرجت بعدها وأخبرت شديد بك بالتغيير الذى حصل ، فسر به كثيراً ؛ وقد أبلغنا الخديو تليفونياً فى فندق « أسبلا ناد » فى « لوكارنو » فأظهر فرط سروره وكلفنى أن أقابل فؤاد بك سليم مرة أخرى ؛ وأشكره من لدن جنابه على إخبارى قالنبأ ؛ وأفهمه أنه سيرسل برقية بالتهنئة بمجرد إعلانه رسمياً من قبل الدولة كالمعتاد قبل الحرب .

---

(١) أحد كبار السوريين وكان له اتصال ومعرفة سابقة بالخديو

وقد قابلت فؤاد بك ، وأبلغته ما كلفت ؛ فقال لى : « إن نظارة الخارجية أبلغتنى الخبر ولم تزد على ذلك » .

وفى يوم ٧ منه اجتمعت بالخديو وشديد بك ، ودار الكلام حول التغيير الذى حدث فى النظارة ، فقال : « إن البرنس سعيد سيقوى مركزه عند الانجليز بهذه الاستقالة ، وربما رشحوه لعرش مصر » فكان رأينا غير رأيه فى هذه النقطة .

ودارت المناقشة فى إرسال تهنئة من سموه ، فكان رأيى فيها انتهاز الفرصة للتفاهم ، وعدم انتظار الاعلان رسمياً من جانب تركيا . ولكن تقرر أخيراً ـ على غير رغبة منى ـ أن أذهب إلى فؤاد بك ، وأن أطلب منه إرسال برقية « شفرة » للخارجية العثمانية بأن الخديو بعث يستفهم من القبو كتخدائيـة ، عما إذا كانت أعلنت بالتغيير رسمياً كالمعتاد ؛ وأن غرضه هو القيام بالواجب فى تهنئة الصـدر الجديد وربما أوفد سموه مندوباً لهذا الغرض

ولما قابلت السفير لم يستحسن إرسال برقية : وأشار بإرسال التهنئة مباشرة ، وبدون تأخير ، لأنه مضت ثلاثة أيام الآن من وقت حضور البرقية ؛ ثم إذا ورد إلى الخديو أن القبو كتخدائية أعلنت يرسل برقية أخرى ، أو يرسل مندوباً خاصاً « مثلك ياباشا » قلت : « ولكن إذا أوفدنى الخديو فيجب ألا يشيع ذلك عند الانجليز حتى لا ينتقموا منى في أملاكى بمصر » فقال : « إذا تم ذلك فأنا أطلب من قنصل الدولة تحرير جواز السفر بنفسه ، ولا يخبر أحداً بسفرك » .

ولما رجعت إلى الخديو حاولت إقناعه بعدم التشبث بالرسميات ، وانتهاز الفرصة السانحة ، وأخيراً تقرر أن نطلب من فؤاد بك أن يكتب فى تقريره الذى يرسله إلى الآستانة أنه اخبرنى بالتغيير ، وكلفنى إبلاغ الخديو ، فيكون ذلك شبه إعلان رسمى . وقد حصل ذلك وأبدى لى الخديو تخوفه من انتقام الانجليز منى إذا سافرت ، فأظهرت له استعدادى لذلك ، ولكن قلت : « يجب أن نحتاط ، وأن نتقى شر بارودى ، فأدعى أننى ذاهب إلى بادن للاستحمام » .

إرسال التهنئة : وبعد ذلك حررت صورتين للتهنئة ، إحداهما مطولة والأخرى رسمية قصيرة ، فاستحسن سموه الثانية وأرسلناها يوم ٢٧ فبراير .

وقد وردت برقية الرد في يوم ١٧ منه في لهجة لطيفة باسمه ، باعتباره « خديو يا لمصر » .

جس النبض لدى رجال تركيا : عندئذ فكر الخديو فى الشروع فى مخابرات مع

الصدر الجديد لتحديد مركزه ، وقد أراد أن يجس النبض للتأكد من نجاح المخابرات قبل البدء فيها . وكان قد سبق أن طلب من الاستانة حضور خادم فجر فى النمسا وبقى بها ؛ فعزم على أن يكون طلب الترخيص لهذا الخادم أول مايجس به النبض ؛ وأمرنى في يوم ١٧ أن أحرر خطابا لطلعت باشا بذلك فى صيغة غير صريحة ، لأن الطلب تافه ، وقال لى : « اذا وجدنا أن لدى الصدر نية طيبة من ناحيتنا ، فاننا نرسلك يا شفيق للاستانة »

وفى يوم ٢٨ مارس كنت مع الخديو أنا وشديد بك والدكتور سيد كامل ، فعلمت أن رد الصدر قد وصل إليه منذ أيام ، وأنه رد طيب . وفيه وعد بالتسهيلات اللازمة لكل تابعى الخديو فى ذهابهم لسويسرا وإيابهم منها ، وكذلك أبدى اهتماما بمخابراته ، ووعد بالرد عليها ، بقدر ما يمكن من السرعة

وقد أظهر لنا الخديو سروره من هذا الرد ، وتقرر ايفاد مندوب الى الاستانة للمخابرة مع الصدر فى المسائل المعلقة ، وطلب منا أن نفكر فى وضع نقط لهذه المخابرة ، وفى الخطة التى يتبعها المندوب .

تحضير مذكرة للمخابرات : وفى يوم ٢٩ منه اجتمعنا ووضعنا المذكرة الآتية :

أولا . انضمام الخديو للدولة ، كان مبنيا على (١) تعلقه بالخلافة والغيرة الاسلامية (٢) الولاء للمتبوع بصفته تابعا سياسيا . (٣) الأمل فى أن تكون لمصر حالة سياسية أسعد مما كانت عليه

ثانيا : أسباب خروج سموه من الاستانة : (١) معاكسات سعيد حليم (٢) استرجاع الحملة (٣) شعور سموه بعدم استشارته فى شىء يختص بها

ثالثا : أسباب خروجه من فينا : (١) تعيين بوليس سرى لمراقبة سموه كأنه عدو لامحالف . (٢) انقطاع أمله فى تحسن الحالة بينه وبين الاستانة بسبب ما تقدم (٣) عدم قبول امبراطور المانيا مقابلته (٤) طعن سفير المانيا بفينا فى الشرقيين ما عدا الأتراك (٥) الحاحه على سموه بالرجوع الى الاستانه للسعى فى تحسين العلاقات .

رابعا : أسباب عدم تحسين العلاقات فى سويسرا : — (١) استمرار معاكسات الصدر (٢) عدم الترخيص لرجال الخديو بالدخول فى الاستانة والخروج منها (٣) قطع مرتبات رجال حاشيته لأنهم لم يرجعوا الى بلاد الدولة ، بينما المصريون المنتمون للصدر يستمرون فى قبض مرتباتهم .

خامسا : أمل الانكليز فى التقرب من سموه لما علموه من سوء التفاهم بينه وبين

رجال الدولة ، والألمان واجتهادهم فى فصله عنهم فلم ينجحوا ، بدليل أنه لم يصدر من سموه أى فعل أو قول علنى أو غير علنى يدل على اتفاقه مع الانكليز ، ولو كانت المسألة متعلقة بالحالة الخصوصية لسموه فقط لانتهت منذ زمن

سادسا : تغيير النظارة العثمانية أحيا الأمل فى تحسين العلاقات مع الدولة وجواب الصدر خير مشجع لهذا التقارب .

هذا عن الماضى

أما المستقبل فأولا : تحقيق الأمل باسعاد الحالة فى مصر متوقف على قيام حملة أو احتمال نجاح مساع سياسية ، وعلى هذا يحب الخديو أن يعرف : (١) اذا كانت هناك نية لتجريد حملة ، واذا كانت الدولة مهتمة باتخاذ وسائلها ، وما هو الموعد الذى الذى تقوم فيه ؟ (٢) ان كانت هناك نية فهو مستعد للرجوع الى الاستانة عند الزحف (٣) طلب تعضيده ماديا وأدبيا للمحافظة على مظاهر الخديوية الى حين عقد الصلح ، فهل الدولة مستعدة لتقديم اعتماد مالى يصرف فيما يتعلق بالأمور العامة ، أو بالانفاق على الحاشية ، أو لاعانة المصريين المحتاجين فى الخارج (٤) ان لم تكن هناك نية فى ارسال حملة فالخديو يتساءل اذا كان تعضيد الدولة وحلفائها فى مؤتمر الصلح يضمن الوصول الى نتيجة حسنة لمصر ولشخصه ، ويتساءل فى هذه الحالة عن الضمانات الحالية الممكنة لتحقيق هذا الأمل فى مؤتمر الصلح (٥) فان لم توجد هذه الضمانات من الآن فهلا يكون من المصلحة أن تجيز الدولة لسموه اجازة غير رسمية الاتفاق مع الانجليز على تسوية مركزه المالى بالنسبة لحالته الشخصية فى المستقبل ؟

ثانيا : سموه يتساءل عما اذا كانت الدولة تحب أن تنتفع بأى خدمة يقوم بها لصلحتها فى الخارج ، فانه يكون سعيداً عند استطاعته القيام بهذه الخدمة فى الحال أو الاستقبال ، لأن الأسباب التى استوجبت انضمامه الى الحكومة العثمانية ما زالت قائمة ، ويضاف اليها نيته عند عدم النجاح فى المسألة المصرية ان يعيش فى بيئة اسلامية ؛ ويصرح من الآن بأنه لا يتفق مع الانكليز على أى ترتيب سياسى فيما يتعلق بمسألة مصر يكون من شأنه الاضرار بمصلحة الدولة .

فلما اطلع الخديو على ذلك طلب إلغاء الفقرة الأخيرة ، ثم قال : « إنه لا لزوم للكلام فى الماضى ، بل تكون المذكرة عن المستقبل فقط . أما اذا جاء السؤال من رجال الدولة عن أسباب خروجه من الاستانه ومن فينا وعدم رجوعه ، فعندها يمكن الاجابة بالتفصيلات الموضحة »

وقد سألته عما إذا كان المندوب يومئ الى كلام فؤاد سليم فى أمر التعويض الذى يرجى أن يحصل الخديو عليه من الدولة ، فى حالة إضرار الانكليز بسموه في أملاكه وتخصيص مرتب سنوى له؛ فأجاب : نعم إذا كانت المخابرة تقضى بهذا الايماء . ثم أملى على آراءه ، لوضعها فى قالب مقبول ، وإضافة مانراه لازماً . وهى

(١) الجناب الخديوى لم يغير خطته ، وما كان ينتظر ما حصل له (٢) بعزل الصدر سعيدحليم يأمل فى تحسين الحالة ، وإزالة سوء التفاهم ، خصوصاً وأنه يتذكر ما قاله له طلعت باشا ، فى زيارته لسموه ، مع خليل بك قبل مغادرته الآستانة ، وتأكيده أنه لا ينطوى على شعور غير شعور المودة من نحوه ، ووعد فخامته هو وأنور الذى كان معه ، مما جعل الخديو يتحقق الآن من نجاح مسألته ، ولهذا أوفدنى (شفيق) للسلام والشكر .

ثم أشار بأن يضاف على أسباب خروجه من فينا ، معاكسة حسين حلمى باشا السفير لسموه بواسطة «حاشيته» (محب ويوسف صديق) وقال : «وإذا حصل السؤال عن طلباتى فيكون الجواب : (١) إعطائى الحقوق الممنوحة لى » . يعنى البريد ، والتلغراف الشفرة .

وهنا بدر اعتراض منى ومن الدكتور سيد كامل ، لأن الحرب لاتسمح باستعمال الشفرة ، ولكنه غضب من هذه الملاحظة (٢) «معاملة رجال القبو كتخدائية ، كما كانوا يعاملون سابقاً ، لأن القبو كتخدائية لم تعلن عند تغيير النظارة الأخيرة » قال سموه : « ثم إن المندوب يسأل الصدر عن رأيه فى المسألة المصرية ، ونتيجتها ؛ وإن لم يكن هناك نية فى إرسال حملة فهل تنوى الدولة عمل شيء آخر؟ وإذا كان هذا لايعلم في أى وقت فهل يبقى سموه بدون مساعدة مالية ؟

وإن سئل المندوب عن رجوع سموه يجيب بأنه إذا تحقق حسن نية رجال الدولة نحوه ، فانه يرجع الى الآستانة للاقامة فى بيته فى شهر سبتمبر »

ثم قال : «ومن سبتمبر نؤجل الميعاد الى اكتوبر ، ثم نسافر إلى بلغاريا ، ونمكث لغاية نوفمبر ، ومن يعلم ماذا يحصل لغاية هذا التاريخ ؟ » .

وقد اجتمعت بالدكتور ، ووضعنا المذكرة على حسب الفكرة التى أملاها علينا الخديو ، وقدمناها له ؛ وبعد أن قرأها قال بابقائها لاعادة النظر فيها وتعديل ما يراه وأمر بسفرى إلى برن لمقابلة فؤاد بك سليم

السفر الى برن : وفى ٣٠ مارس سافرت إلى برن وقابلت فؤاد سليم ، وأبلغته سلام الخديو وشكره على حسن مسعاه ، وأن سموه ربما أوفد مندوباً إلى طلعت فأجابنى فؤاد بك « ولكن سموه عزم من مدة على هذا ولم ينفذه » قلت : « لأنه كان ينتظر الرد على جواب أرسله الى الصدر » وقد وصل

مذكرة جديدة: وفى يوم ٩ ابريل قابلت عباساً ، وتفاهمنا مرة أخرى على مهمة المندوب . فقر الرأى على أن أترك المذكرة التى كنا قد أعددناها سابقاً ، ونكتفى بما يأتى:

أولا : بعد التحية يبدأ المندوب بأن يقول لطلعت باشا . « إنه لما رآه الخديو من حسن قبولكم لكتاب سموه ، وأمركم باجابة مافيه من الطلبات أوفدنى لفخامتكم للاعراب عن شكره وامتنانه ، وأمرنى أن أقدم لكم خطابا أحمله »

ثانيا : عندما تأتى مناسبة فى أثناء الحديث يلمح المندوب الى زيارة طلعت وخليل بك قبل ترك سموه الأستانة، ويذكر تأكيدات فخامته لسموه، من أنه لايوجد شيء عند رجال الحكومة العثمانية ضده ، وخطاب الصدر دليل قاطع على تأييد هذا الكلام ، لذلك يتفاءل الخديو خيراً من وجود طلعت باشا فى كرسى الصدارة .

ثالثاً : إن سأل فخامته عن اشاعة شاعت باتفاق بين سموه والانجليز يرد المندوب بأنه : حقيقة أراد الانجليز انتهاز فرصة الفتور الذى كان ملحوظاً بين سموه ورجال الدولة لاستمالته اليهم ؛ ولكن لما تغيرت النظارة تبدلت الحال بعناية فخامة الصدر ، ويقول المندوب: « ولو أننى لم أكن على الدوام ملازماً الجناب الخديوى إلا أننى أعلم جيداً أنه لم يتفق مع الانكليز على شيء ، وإلا فأنه كان يعلمنى قبل سفرى » (أى أنه لاينفى ذلك بصفة رسمية)

رابعاً : واذا سأل طلعت عما اذا كان الخديو يريد أن يتفاهم معهم ، يقول المندوب: « إنه إن تكلم فلا يكون موضوع الكلام إلا فى المسائل الشخصية لا السياسية ، فهى التى تهم معيشته فى المستقبل ، لأن ثروته كلها فى مصر وهى محجوزة ويتمنى ألا يحصل له على الأقل ضرر فى المسائل المالية »

خامساً : وان سئل عن آراء سموه يكن الجواب : أن سموه يريد أن يعرف موقع المسألة المصرية فى الحركة العسكرية والسياسية . فان كان الرد أن المسألة منظورة والحكومة عازمة على عمل شيء فيظهر المندوب الاستحسان ، واذا كان الرد بأنها غير منظورة فيجيب بالاسف

سادساً : وإن سئل عن طلبات سموه يجيب بأن لامطلب له إلا أن تعامله الحكومة بالحقوق المخولة لمقام الخديوية ، معاملة ودية ، لا معاملة عدائية ، لأن الاعداء يعاملون الملوك الذين عزلوا معاملة لائقة بهم ، وهم يعيشون بينهم بالعز والاكرام.

مع أن سموه طلب من الحكومة نقل موظف فى المحروسة (الدكتور صبحى) إلى خدمة الدولة المحتاجة إلى أطباء ، وعمله فى المحروسة لا يستدعى وجوده فيها . فبعد قبوله ارجعته الحكومة إلى المحروسة خلافالرغبة الخديو ؛ ويرجو المندوب من الصدر إجراء مايلزم لحفظ مقام الخديوية . فان قال الصدر : «ها نحن أولاء نعامله الآن كما يجب» ، فالمندوب يستفهم فى هذه الحالة عما إذا كان فى نية الحكومة معاملته مادياً فان دخل الصدر في الموضوع المادى فعندها يقول المندوب : « إنه يرجو أن يعامل رجاله فى المرتبات كما يعامل المصريون الذين أظهروا عداوة له » (أى المنتمين للصدر السابق) وفى حالة القبول من الصدر يقول المندوب : «ان سموه مستعد لأن يشترك مع الحكومة فى وضع قاعدة لمساعدة المصريين على وجه العموم »

سابعاً : إذ قال الصدر برجوع الخديو الى الأستانة ، يجيب المندوب أنه مستعد للرجوع ؛ وإنما يفكر في صوالحه فى مصر وفى إيطاليا (حيث توجد أوراقه فى باخرة طاشيوز برودس) فهل توجد طريقة لتأمين هذه المصالح لو رجع إلى الاستانة ؟

فان قال بوجود طريقة ، يستعلم عنها المندوب ويطلب أن يعرضها على الخديو.

وقد سألت سموه عن المبلغ الذى يطلب تقريره من الدولة ، فأجابنى بأن خمسة وعشرين ألف فرنك سويسرى شهرياً تكفى

الاحتفال ببلوغ عبد المنعم سن الرشد : فى يوم ١٧ فبراير كنت عند الخديو فى لوزان ، فعرض على رأيه فى تحرير خطاب للبرنس عبد المنعم ولى عهده ، يهنئه فيه ببلوغ سن الرشد يوم ٢٠ منه ، ويسلم اليه فى الاحتفال بهذه الذكرى ، وطلب منى تحريره مع الدكتور سيد كامل

وقد أعددنا مشروع هذا الخطاب ، وبعد تحوير وتبديل منا ومن الخديو صار كما يأتى :

« فى مثل هـذا اليوم من ثمانى عشرة سنة خلت ، احتفلت مصر بمولدك ، فبالأمس أتممت حياة القاصر ، واليوم بدأت حياة البالغ الراشد، وأنت اليوم

وغدا ـ كما كنت بالأمس ـ محل رعايتى وشفقتى الأبوية ،فهنيئاً لك بما أنعم الله علينا من بلوغ هذا اليوم ، وبارك الله لك فى عمرك ،ووفقك فى جميع أعمالك .

«وقد كنت أود أن نحتفل بك اليوم بلادنا المصرية العزيزة ، كما احتفلت بيوم عيد ميلادك ، ولكن الحوادث الحاضرة التى مازالت منذ عامين ونصف عام ، تحدث الانقلابات المنوعة في كيان الممالك المتعددة ، ومراكز الملوك والأمراء قد أصابتنا بشىء من انقلاباتها ـــ أرجو أن يكون وقتيا ـــ وعلى أى حال فآمل ألا يمتد أثره إلى المساس بحقك الثابت المشروع ، الذى لا أدخر وسعاً فى تأييده والله المسئول أن يوفقنا إلى مافيه الخير والفلاح »

وفى يوم ١٩ أرسلنا الدعوة لحضور الاحتفال ؛ وقدر عدد من سيحضرونه بستة عشر وهم :

الخديو وولداه وشقيقه ، وشكرى بك سكرتيره ، والبرنس ابرهيم حلمى ، ومحمد طاهر بك نجل البرنسيس أمينة هانم اسماعيل ، وجلال الدين باشا ، وتوينى بك ، ومحمد باشا يكن ، وعبدالحميد بك شديد ، والدكتور سيد كامل ، وعبدالله البشرى ، ونور الدين افندى ، ومنصور القاضى ، وصاحب المذكرات

وقد عرضت على سموه أخذ صورة تذكارية للحفلة وصورة أخرى لأفراد العائلة فوافق على ذلك

وطلب منى أن أفهم البرنس بأنه سيهدى إليه قطعة من الجواهر التى ورثها من عائلته لتكون تذكاراً لبلوغه سن الرشد ، وبما أن مجوهراته فى زوريخ فانه عند رجوعه إليها سيختار هذه القطعة ويرسلها لدولته ، وأن سموه يأسف لعدم وجود السجلات الخاصة بأمواله حتى يراجعها .

وقد نقلت ذلك للبرنس فقال : « هـذه أمور نصفيها بعد الحرب ، ولا حاجة بى اليوم للنقود . أما أنا فأفكر في مسألة أخرى ؛ وهى أننى أطلب من معتمد انجلترا أن يتوسط فى استحضار نقود لى من أموالى الخاصة ، وأقول له صراحة: «إننى أريد أن أقرض أبى ما يحتاجه منها الآن بحيث يرده لى بعد انتهاء الحرب العظمى »

فأبديت له تشككى فى نجاح هذه الفكرة ، لأنى أعتقد أن الانجليز سيرفضونها

وقد أرسلنى الخديو لدعوة شقيقه الذى قرأت عليه صورة خطاب الخديو لولى عهده ، فأعجبه

وفي يوم ٢٠ فبراير كانت الحفلة، فدخلنا فى الساعة الواحدة الى المائدة، وجلس الخديو، وأمامه شقيقه، وعلى يمينه ولى العهد، وعلى يساره البرنس ابراهيم حلمى، وعلى يمين البرنس محمد على جلس البرنس عبدالقادر، وعلى يساره محمد بك طاهر، ثم باقى المدعوين، وكان مرسوماً على قائمة الأطعمة العلم العثمانى

وبعد تناول الطعام أمرنى الخديو أن أتلو الخطاب الموجه منه لولى عهده فتلوته بلهجة مؤثرة، فسالت دموع البرنس عبدالمنعم، ونهض فقبل يدوالده مظهراً حنانه عليه.

ثم سلمت الخطاب للخديو فسلمه لابنه الذى تناوله شاكراً

وقد وقف البرنس محمد على، وأراد أن يقول شيئاً، ولكن التأثر أخذ منه كل مأخذ، فقال: «إن المصيبة التى أصابت الأسرة هى غضب من الله، فيلزم علينا أن نطلب منه المغفرة» وكرر هذا القول بألفاظ متقطعة بين البكاء والدموع.

وكنت معتزما أن أهنىء البرنس بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن الحاشية، ولكن لما رأيت هذا الجو امتنعت، ووقف البشرى وطلب قراءة الفاتحة ليوفقنا الله للخير.

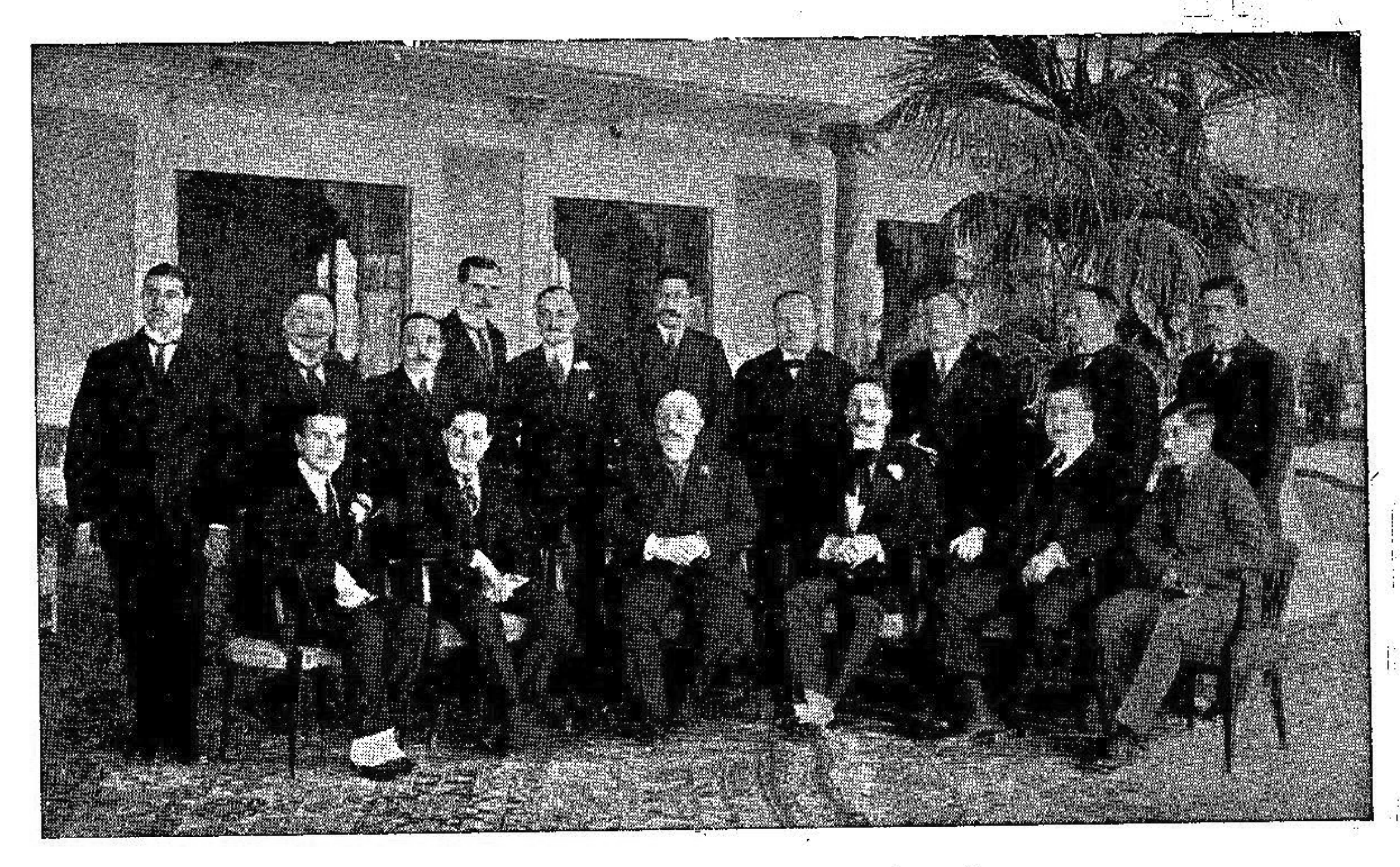
وبذلك انتهت الحفلة، وكان لها أثر جميل فى تقريب هوة الخلاف بين الخديو وولى عهده.

وبعد تناول القهوة ذهبنا إلى حديقة الفندق، وجاء المصور فالتقط صورة لنا مجتمعين، ثم صورة أخرى لأفراد الأسرة الخديوية.

وقد جلس الخديو مع نجليه وبنتيه وجلال الدين باشا فى معزل عنا جلسة عائلية، وكنا نشاهد سموه بين حين وآخر يقبل أبناءه واحداً بعد الآخر فى تأثر شديد.

وفى يوم ٢١ منه اجتمعت بالخديو والبرنس عبد المنعم، فقلت لسموه: «إن دولة البرنس أبدى لى الرغبة فى عمل رد على خطاب الجناب العالى» فقال: «لا بأس وها أنت ذا موجود يا شفيق فانظر ما يريد كتابته واعمل باشارته»

وفى اليوم التالى استدعانى وكلفنى بكتابة الرد على أن يحتوى على عبارة فحواها: أنه بعد بلوغه سن الرشد سيبقى كما كان قبل ذلك خاضعاً لوالده. ثم سألنى عن أية النقط التى تهم والده، فأجبته بانه ربما تكون النقطة الخاصة بتوثيق رابطة المحبة بين أفراد الأسرة الخديوية. فقال: «حينئذ نضمها للنقطة الأولى». وعاد فسألنى عما إذا كان يرسل العنوان باسم «سمو الخديو المعظم» — لأن والده لايزال



صورة الاحتفال ببلوغ سمو البرنس محمد عبد المنعم سن الرشد

الجالسون : يرى فى الوسط سمو الخديو عباس حلمى الثانى وعن يمينه سمو البرنس محمد عبد المنعم المحتفل به وسعادة محمد طاهر بك وعن يساره سمو البرنس محمد على والبرنس محمد ابراهيم حلمى والبرنس محمد عبد القادر

الواقفون : من اليمين . الأستاذ منصور القاضى والدكتور سيد كامل واحمد شكرى يكن بك ونور الدين أفندى وعبد الحميد شديد بك وتوينى بك وجلال الدين باشا ومحمد يكن باشا واحمد شفيق باشا وعبد الله أفندى البشرى

فى نظره للا ن خديويا ، ولا جناح عليه إذا اعترف له بهذه الصفة، قلت : «حقيقة إنه هو الخديو، لأنه لا يوجد الآن فى مصر خديو آخر ، بل الموجود لقبه « سلطان » ولكن لا بأس أن نصدر الخطاب باسم « مولاى ووالدى العزيز » ـ حفظه الله.

وفى يوم ٢٥ منه قابلنا الخديو وعرضنا عليه مشروع الرد ، فلاحظ أن به جملة تجرح مركز البرنس ، وهى وعده بأنه سيجرى على الخطة التى جرى عليها أجداده واقترح حذفها .

وهذا نص الرد فى صيغته الأخيرة

« مولاى ووالدى العزيز ـ حفظه الله ـ

« تناولت بيد التعظيم والاجلال كتاب سموكم الذى اقتضت إرادتكم أن تشرفونى به ، لمناسبة إتمامى السنة الثامنة عشرة من عمرى ، ودخولى فى أول يوم من أيام حياتى البالغة الراشدة . ومن تلاوته أخذ منى التأثر كل مأخذ لما أشار إليه من الحوادث الماضية والحاضرة . وإننى تلقاء ماتفضلتم به من التبريكات وعالى الاحساسات لا يسعنى إلا انتهاز الفرصة ، وأن ألتمس قبول تشكراتى الصادرة من قلب أساسه الحب والولاء ، لما شملتمونى وما زلتم تغمروننى به من الرعاية والشفقة الأبوية ، والسهر على توفير أسباب تعليمى . مد الله فى حياة سموكم ، ووفقنى إلى ما فيه بقاء رضاكم ، وعسانى أسعد بأثبات مايكنه ضميرى من الاعتراف بالجميل على ماتبذلونه من الوسع فى صالحى ؛ وآمل استمرار هذه المساعدة الثمينة ، لأننى اليوم كما كنت فى الأمس ولدكم الخاضع المحتاج لمعونتكم ، ولأنكم مصدر وجودى ومرجع الفضل فيما ينالنى من خير . والله أسأل أن يجعل لنا من الأيام القادمة خير حال . أما العمل بالصدق والاخلاص للوطن العزيز ، وتوثيق رابطة المحبة بين أفراد أسرتنا العلوية فهو المبدأ القويم الذى يجب علينا جميعاً اتباعه »

البرنس عبد المنعم وولاية العهد : فى يوم ١٧ فبراير كنت بلوزان ودار الحديث مع الخديو عن نجله البرنس محمد عبد المنعم ، فأخبرنى أنه قابل المعتمد الانجليزى ، وطلب منه أن يعلم حكومته بأنه يلتمس منها ألا تهضم حقوقه الشرعية ، وأن تأذن له باتمام دروسه فى انجلترا ، فأجابه المعتمد بأن انجلترا لا تظلم أحداً ، وما على الخديو إلا أن يتنازل لك ولعائلتك ، ووعده بأن يتخابر مع حكومته فى طلبه .

ثم قال عباس : « ومن رأيى أنه بعد بلوغه سن الرشد يذهب إلى المعتمد ويطالب بحقه الشرعى فى ولاية العهد . »

وفى يوم ٢٠ فبراير كان البرنس قد بلغ رشده . وفي هذا اليوم اجتمعت بالخديو وبولى عهده ، فقال سموه : « إننا نريد أن نفكر في كتابة خطاب لملك الانجليز من البرنس يقول فيه : « إنه ترك مصر وسافر الى الآستانة ، ثم باغتته الحرب فذهب الى السويسرة للتعلم ؛ وأنه نظراً لاعلان جلالته يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ أنه يبقى أسرة محمد على على رأس الحكومة المصرية ، فالبرنس الذي هو فى الصميم من الأسرة يأتى اليوم ، وقد بلغ رشده ، ليطالب بحقه الشرعى فى ولاية العهد »

وفى يوم ٢٢ منه استدعانى البرنس تليفونياً ، وعرض لى رأيه فى الرساله ، وتركنى لكتابتها ، وبعد إتمامها عرضتها عليه فرأى تخفيف بعض التعبيرات فيها ، فوافقته على ملاحظته ، وأجريت التعديلات التى طلبها .

وفى يوم ٢٥ قابلنا الخديو وعرضنا عليه مشروع الرسالة بحضور ملحمة باشا ، فلاحظ أنه ذكر فى الرسالة ما يفيد أن التغيير الذى حدث فى مصر ، وإبقاء عائلة محمد على ، هو من افضال ملك الانجليز ، بينما هذا حق ثابت للأسرة بمعاهدة دولية ، وأن الغرض الذى يرمى اليه الخطاب غير واضح . فأجاب الخديو : بأنه هو الذى أشار بالنقطة الأولى ، أما الثانية فوافق عليها . وقد أخذ ملحمة يحضر « مسودة » سريعة ، ولكن الخديو ونجله وجدا فيها خضوعاً زائداً لملك انجلترا ، وتقرر أن يعمل مشروع وسط بين المشروعين ، ووكل إلى ذلك ، فأتممته وعرضته على الخديو يوم ٢٦ منه فوافق عليه ، وكذلك أطلعت عليه البرنس محمد على فنال استحسانه .

وفى يوم ١٩ مارس قابلت البرنس عبد المنعم ، وسلمته مشروع الرسالة ، فأخذ يحرره بخطه ، وها هى ذى ترجمته فى صورته الأخيرة :

« حيث أنى بلغت سن الرشد فى ٢٠ فبراير الماضى ، رأيت أن أول واجب على أن أقدم جليل احترامى لجلالتكم ، وبعد ذلك ألتمس من عطفكم التوسط فى مسألة تخصنى شخصياً .

« على إثر التعدى على حياة والدى فى الآستانة يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩١٤ اضطررت أن أذهب إليه ، ثم عدت إلى السويسرة فى شهر ديسمبر من السنة نفسها لأتمم دراستى .

« وبقيت مشتغلا بالدراسة منتظرا يوم بلوغى الرشد لألتجيء إلى عدل جلالتكم ملتمساً الاعتراف بالحق الذى يخوله لى انتسابى لأكبر ولد مباشر لعائلة محمد على معترفا بأننى سأحافظ على هذا اللقب بالسلوك الحسن .

« وإنى على يقين من أن جلالتكم وحكومتكم العادلة ، ستنظران بعطف وتدافعان عن شخص ذهب ضحية بريئة للحوادث .

وانتظارا لرد مطمئن أتشرف بأن أكون . . . الخ »

وفي يوم ٢٧ منه قابلت البرنس ، فسألته عما إذا كان قد سلم الخطاب الموجه للملك إلى السفير ، فأجابنى بالايجاب ، وأن المقابلة كانت لطيفة ، ولم يزد شيئاً على ذلك .

ولكنى لقيت الخديو فى اليوم التالى ، فأخبرنى أن مندوبا من قبل معتمد الانجليز قابل البرنس ليخبره برده عليه بخصوص المساعى الأولى التى بذلها للاحتفاظ بحقه ، وهذا الرد يتلخص فى أنه قد سقط حقه فى الوراثة بخلع والده وأن انجلترا عينت خلفا له هو السلطان حسين حافظة لنفسها الحق في انتخاب الخلف ، وقد سعى بعض البرنسات للحصول على مركز ولاية العهد ، كما سعى السلطان حسين ليحتفظ به لابنه البرنس كمال الدين ، ولكن كل المساعى حبطت لأن انجلترا لاتنوى الآن أن تنظر فى المسألة ، وعندما يحين الوقت تنتخب خلفاً للسلطان ، وربما كان للبرنس عبد المنعم نصيب فيه .

وأن سموه بعد ذلك أمرنى بأن يتوجه للسفير ويقول له : «إنه كان يفضل أخذ الاجابة منه رأساً بدون واسطة ، وأن يسلمه بعد ذلك الخطاب الذى أعده لملك انجلترا ويرجوه فى إرساله » .

ولما سلمه للمعتمد أطلعه عليه بصفة غير رسمية ، فنصحه بتغييرات فيما يختص بالمطالبة بحقوقه . وكذلك أشار عليه بحذف ما يختص بمسألة الوراثة .

وقد فهمنا من ذلك أن انجلترا تكره مطالبتها بحق ما ، وترى أن يكون فى الالتماس ، ما يشعر أنها صاحبة الحق فى إعطائه أو منعه .

وعلى هذا أمر عباس أن نضع صورة أخرى مخففة ، فوضعناها ، ولكن بقى فيها تلميح لمسألة الوراثة .

وفى يوم ٨ إبريل علمت من عبد الله شديد بك أن السفير الانجليزى لاحظ على الرسالة الجديدة عند اطلاعه عليها ، أن الاشارة لمسألة الوراثة باقية ، مع أن الحكومة الانجليزية قد أجابت عنها فى الرد الشفوى .

وقد اجتمعنا فى اليوم التالى : الخديو وولى العهد وشديد وأنا ، فأبدى البرنس تذمره من مقابلة السفير له فى المرة الثانية ، لأنه لما قدم الرسالة أراد الخروج فطلب منه البقاء حتى يطلع عليها ؛ وبعد قراءتها ردها له بدون استئذان ، قائلا : « هذه الرسالة لا تخرج فى معناها عن الأولى فلا يمكن أن أقبلها » . وكان دولته عازما على عدم العودة له ، ولكننا تمكنا من اقناعه بالاستمرار فى خطته ، وكان من رأيه أن يكتب خطابا لبالفور ، ويرسل معه صورة الخطابين ، ويعرفه أن السفير هو السبب فى التأخير ، وكذلك فكر الخديو فى توسيط كريمة الدوق أوف كونوت فى ايصال الخطاب رأساً إلى الملك . ولكن بعد المناقشة تقرر أن تكتب مرة ثالثة بحيث لا يكون فيها تلميح لمسألة الوراثة ، ولا طلب الذهاب إلى انجلترا للدراسة .

وبعد عمل المشروع الثالث للرسالة قرر الخديو أن يعرضه شديد بك على ملحمة باشا ، وأن يسافر البرنس إلى برن بعد ذلك لتسليمها ؛ ولكن هذه المخابرات لم تسفر عن نتيجة .

سفرى الى الآستانة للتفاهم مع الأتراك :

الاستعداد للسفر : أخذت فى الاستعداد للسفر واستخراج الجواز ، وبعد أن أشرت عليه من قنصلية النمسا توجهت فى يوم ١٧ ابريل الى فؤاد بك سليم ليوصى لى بحرية المرور من بلغاريا والنمسا . مع الترخيص باعفائى من الكورنتينة فى حدود النمسا

وفى يوم ١٩ عقدنا جلسة (الخديو وشديد بك ونور الدين وأنا) وتلقيت تعليماته النهائية ، ورسالة منه الى الصدر بايفادى اليه ، لاحاطته علماً بمسائل هامة ، ورسالة أخرى الى الوالدة للسؤال عن صحتها ، ورسالة باسم ابراهيم بك أدهم فيها بعض أوامر تختص بأشغال جبوقلى ، ووضعت جميعاً فى ظرف كبير ختم عليه بالجمع الأحمر (التاج الخديوى) . وكذلك أخذت رسالة لموسيو بوركار سفير السويسرة فى فينا وآخر لموسيو أمستو ، وورقة فيها تعليمات لى مدة وجودى فى فينا بمقابلة الدكتور كاوتسكى ، وزيارة بوركار والدكتور أمستر . ووضعت جميع الاوراق التى أحملها بما فيها الظرف الأول فى ظرف أكبر

وفى المساء ورد لى جواز السفر مع إذن بحرية المرور من النمسا والبلغار ، وخبر

من فؤاد بك سليم بأنه أرسل الى الآستانة برقية بسفرى لتعطى التنبيهات على الحدود العثمانية بمرورى

عقبات : وفي ٢٠ منه سافرت من زرويخ الى فينا ومعى نور الدين افندى . وفي الطريق قابلت الكونت دى تورن بمحطة سان جال ، فأخبرته بسفرى الى الاستانة، وفى بوكس «حدود السويسرة النمسوية » رجع نور الدين افندى ، واستأنفت سيرى الى «فلدكرش» وبالرغم من التوصيات التى أحملها فان إحدى حقائبى فتشت وأخذ الضابط الظرف الكبير الذى به الأوراق، ثم سألنى عما به ، فأخبرته بأنها رسائل من الخديو الى الصدر فقال لى : «ولكن ليس على الظرف ما يفيد أنه رسمى ، ولهذا فسنحفظه ونرسله بمعرفتنا الى سفارة النمسا فى الآستانة فتتسلمه منها هناك» ولم أتمكن من اقناعه بترك الظرف لى

وفى المساء وصل القطار الى « انسبروك » فنزلت فى فندق التيرول لتمضية الليل وفي الصباح قام القطار الى فينا ، فوصل في المساء ؛ وكان بانتظارى الدكتور أمستر وزوجته ، فذهبنا الى فندق امبريال ، فلم نجد به أماكن خالية فاضطررنا للمبيت فى فندق آخر

وفى صباح ٢٢ أرسلت برقية باسم نورالدين فيها إشارة إلى حجز الظرف دون التصريح بذلك خوفا من أن يمنعها المراقب

وقد توجهت الى قنصلية الدولة ، وأشر القنصل على جواز السفر، وأعطانى توصية بالاذن لى بالسفر لأقدمها للبوليس ، وعلمت منه أنه تلقى تعليمات من الآستانة بالتسهيلات لكل أتباع الخديو

وفى يوم ٢٣ منه وردت لى برقية من شديد بك يأمرنى فيها الخديو ببذل المساعى لدى ناظر خارجية النمسا لاسترداد الظرف الذى حجز فى حدود السويسرة . فذهبت فى اليوم التالى مع الدكتور أمستر إلى مدير أحد الأقلام فى نظارة الخارجية المختص بمثل هذه المسألة ، ورجوناه أن يعرض على ناظر الخارجية الموضوع فأجابنا بأنه سيبحث عن الظرف ، واذا وصل إليه فان الصدر سيزور فينا قريبا فيسلم إليه ، فقلت له : « انه مكتوب له فى رسالة أننى أنا الذى سأسلمه له ، فلا يليق أن يسلمه شخص آخر » . وأخيراً تبين لى أنه غير راغب في انهاء المسألة ، فبادرت في اليوم التالى بكتابة رسالة إلى ناظر الخارجية نفسه ، وسلمتها لهذا المدير لتوصيلها

إليه ، فورد الرد لى فى يوم ٢٦ منه بأن الناظر أمر بالبحث عن الظرف وتسليمه لى
ولكن مضى يومان ولم يأت خبر عن المسألة ، وعلمت أن الصدر سيحضر قريباً ، فذهبت لنظارة الخارجية ، وألححت فى مقابلة الناظر ، وعندئذ وعدنى المدير السابق الذكر بسرعة البحث . وفي المساء ورد لى فعلا إخطار بأن أذهب غدا صباحاً لتسلم الأوراق ، ولما تسلمتها وجدت أن المراقبة فتحت الظرف الكبير واطلعت على مايحويه ، ولكنها لم تفتح الظرف الداخلى الذى يحوى رسائل الصدر والوالدة وابراهيم بك أدهم ولا الخطاب الخاص بسفير السويسرة . وقد ارسلت رسالة شكر الى ناظر الخارجية على اهتمامه ، وبرقية للخديو بالحصول على الأوراق

حضور الصدر الى فينا ومقابلته : وفى يوم ٣٠ ابريل حضر الصدر إلى فينا وقد قابلته في أول مايو بفندق امبريال ، فسلمته الرسالة الخاصة به ، وحادثته بما كلفت وبعد قراءة الرسالة ، قال لى : « انه يشكر الجناب العالى لما يبديه من الاحساسات الطيبة نحوه » ثم فاجأنى قائلا : « لماذا لايحضر الخديو إلى الأستانة ثم يرجع للسويسرة ؟ » فأجبته : « إن أوقاتكم هنا ثمينة فان استحسنتم نرجىء الكلام فى هذا الموضوع إلى أن تصلوا للاستانة » فقال : « وهل ستسافر أنت إليها ؟ » فأجبته بالايجاب . فقال : « هذا حسن » واستأذنت وخرجت .

استئناف السفر : وفى ٢ مايو سافرت إلى الاستانة فى القطار الذى سافر به الصدر ، وكنت قد كتبت تقريرا للخديو بكل ما عملته حتى اليوم ، فسلمته عند قيام القطار إلى امستر لتوصيله

وفى يوم ٣ وصل القطار إلى بلغراد ثم إلى صوفيا ، وبينما كنت جالساً وحدى على نهاية العربة إذا بيد تلمس كتفى من الخلف ، فالتفت فاذا به الصدر ينادينى : « ياشفيق باشا » فوقفت وقلت : « أمان افندم » ولكنه استمر فى سيره ونزل فى صوفيا

العقبات فى حدود الدولة : وقد وصل القطار فى يوم ٤ منه إلى « اوزون كوبرى » فركب البوليس العثمانى ورجال الجمرك للتفتيش على جوازات السفر والمتاع ، ولما جاء عندى المفتش الخاص بالجوازات سألنى بعد الاطلاع على جواز سفري : هل أنت مصرى ؟ فأجبته نعم ، فسألنى عما إذا كان لدى ترخيص خاص بالدخول ، قلت : « إن السفارة العثمانية في برن أرسلت برقية بطلب انفاذ الأوامر إلى

الحدود بمروری » فقال : «إن الأوامر لم تصل إليه» . وتركنى على أن يستعلم ، وإذا لم يجد أوامر فلا بد من نزولى بالمحطة التالية .

وعند وصول القطار اليها جاء اثنان من الجندرمة ، وطلبا منى النزول ، فنزلت وقادنى أحدهما إلى غرفة فى فندق بها سرير لنوم أحد رجال الجمرك ، وبعد أن تركت متاعى بها قصدت دائرة البرق ، وبعثت برقية للصدر في صوفيا ، وأخرى لأنور باشا فى الاستانة . وانتظرت حتى المساء فلم يأت الرد من كليهما

وفي يوم ٥ عزمت على السفر إلى صوفيا لمقابلة الصدر اذا كان هناك ، فوصلتها فى صباح اليوم التالى ، وقابلت فتحى بك سفير الدولة بها ، فعلمت منه أن الصدر أرسل الأوامر بمرورى ، ومع هذا فقد أشر هو بالأذن لى ، فشكرته ، وقلت له « انى سأستريح هنا ثلاثة أيام ولا سيما وعندى أمر بمقابلة ملك البلغار لشكره على إعطاء الأوامر بحفظ المكتبة التى فى العمارة الخيرية في قوله بمكان بعيد عن هدف السفن الحربية ، وبمقابلة رئيس الحكومة البلغارية لمسألة تختص بهذا الشأن أيضا »

عدم الثقة بالخديو فى بلغاريا : وقد حاولت فى يوم ٧ مايو إلى ١٠ منه أن أقابل الملك أو رئيس الحكومة فوجدت إعراضا عن مقابلتى ، فهمت منه أن الثقة بالخديو هنا أصبحت مزعزعة بالاضافة لما حدث لى فى الحدود

الوصول للاستانة : ولما لم أتمكن من المقابلة سافرت يوم ١١ منه ، فوصلت « أوزون كوبرى » مرة ثانية ، وسألت بها عن ورود أوامر فأخبرت بوصولها وقابلت المفتش المختص فسمح لى بالمرور

ووصل القطار الى الآستانة فى الساعة الرابعة ، فوجدت الشيخ عبدالعزيز جاويش فسلم على ، وسألنى عن حالة الخديو ، فأجبته بأنها طيبة

مقابلة الوالدة : وقد ذهبت تواً إلى بيك ، ولما رآنى الأغوات رحبوا بى كثيراً واستفهموا عن صحة الخديو ، ثم أرسلت السلام للوالدة ولخديجة خانم افندى أخت الخديو ، ولفتحية خانم وشوكت خانم كريمتيه ، وكانت البرنسيسات الثلاث عند دولة الوالدة نظراً لاعتلال صحتها

حيلة : وقد فكرت لمناسبة مرض الوالدة ، أن أكتب للخديو مجسما المرض لعل ذلك يعجل بسفر سموه إلى الآستانة ، فيتحقق طلب الصدر بمجيئه ، وتتحسن العلاقات كما نود ، ونفذت هذه الفكرة فى اليوم التالى

وقابلت أدهم بك لابلاغه الأوامر المختصة به . وكذلك قابلت الوالدة فى نفس اليوم والبرنسيسات الثلاث ، وكنت في حالة تأثر شديد عندرؤيتهن بعد غياب عامين فسالت الدموع من عيني ، لولا أن نبهتني الوالدة ، إلى أن هذا التأثر يسيء الى صحتها وهى مريضة

مقابلة البرنس ابراهيم حلمى : وفى يوم ١٥ منه قابلت البرنس ابراهيم حلمى فأخبرته بما دار بين الخديو والصدر من المخابرات، وإرسالى بمهمة لازالة سوء التفاهم وبمقابلتى طلعت باشا فى فينا ، وطلبه زيارة الخديو للاستانة ثم العودة إلى السويسرة ، وهنا أخذ يذكر لى الفرق بين الحالة الآن ، والحالة أيام سعيد حليم ، وكيف كان هذا ينتهز كل فرصة للطعن في الخديو ، والاشاعة بأنه باع نفسه للانجليز

فكاهة : وذكر لى كذلك أن نفوذ الصدر السابق قد تلاشى ، وانفض أنصاره من حوله . ثم قص على كيف أخذت أولا نظارة الخارجية من سعيد حليم ، ثم كيف أخذت منه الصدارة . فأما الأولى فقد جاءه ناظر العدلية يوما ، وسأله فى حديث عادى إن كان خليل بك رئيس مجلس النواب يمكنه إدارة نظارة الخارجية ، فأجاب ولم لا ..؟ وعند اجتماع مجلس النظار أخبر أن نظارة الخارجية أعطيت لخليل بك حسب موافقته ، وذكر له النظار محادثة ناظر العدلية معه بشأن تولى خليل بك

قال سعيد حليم : « ولكنى ما كنت أعلم أن فى النية أخذ هذه النظارة منى ! » وأخيراً لم يسعه إلا التوقيع على الدكريتو ، ولكنه تأثر كثيراً من هذه الحادثة . وقبل أن يعتزل الصدارة أحس بقرب خروجه منها فأرسل شقيقه إلى السلطان ليقول له : « إن المملكة لا يمكن أن يديرها أولادرعاع » بالتلميح إلى أنور وطلعت ؛ ولابد أنهما علما بذلك فحنقا عليه كما اشتد حنقهما بمناسبة رسالة انتقد فيها مبادىء الاتحاديين الخاصة بالمرأة .

قال البرنس : « وعلمت من مظهر بك (وكان له اتصال بالصدر) أن الذى توجه لسعيد حليم ، وطلب منه استقالته هو جاويد بك (ناظر المالية الحالى) فان عديلى كان فى منزل سعيد حليم في وقت هذه الزيارة ، وأن خادم سموه حضر وقال : «إن سيده بعد خروج جاويد من عنده كان متهيجاً »

عند أنور باشا : وفى يوم ١٦ مايو قصدت منزل أنور باشا في « قورى جشمه » وقابلته ، وأبلغته سلام الخديو الذى أوفدنى بمهمة لدى الصدر ، وأفهمته بما دار بين

سموه وطلعت باشا من المخابرات البرقية والرسائل ، وأنه لما وجد حسن قبول من الصدر أوفدني لازالة سوء التفاهم بين الطرفين . وما كان يحصل ذلك لو كان سعيد حليم على كرسى الصدارة ، فقال أنور : «إننى أشكر الخديو على سلامه ، وأرى أنه فعل حسنا . نعم إن الاشاعات هنا كثيرة عن اتفاقه مع الانكليز : فملأوا آذان السلطان تنفيراً لجلالته منه ؛ حتى لقد أرادوا أن يصلوا إلى الانتقام من سموه انتقاماً شديداً ، ولله الحمد لم يفلحوا فى قصدهم، فزيارة جنابه العالى تزيل الشبهة التى ألصقوها به .

« والخديو لم يتغير مركزه عندنا ، وله أن يستمر على الاقامة في سويسرا إنما إذا زارنا فأنه يقوى مركزه . وعندما تحصل المناقشة فى مؤتمر الصلح يكون من واجبنا تعضيده ؛ ويكون قد اكتسب الحق فى ذلك ؛ وفضلا عن أننا لا نتأخر فى القيام بالواجب أيضاً بالنسبة للنفقات التى تلزمه شخصياً أو تلزم رجاله وسراياه . فاذا أمر بعشرة آلاف جنيه شهرياً أو خمسة عشر ألفاً فأننا ننفذ أمره »

فقلت : «حينئذ لاتنوى الحكومة إرسال حملة على مصر» قال : «إذا أمكننا عمل صلح انفرادى مع الروسيا ، فوقتها نأخذ من جهة القوقاز جنوداً ، وتقوم الحملة ؛ وإلا فأننا اتفقنا مع الألمان ألا يعقد الصلح مع الانجليز إلا إذ استرددنا حقوقنا التى سلبوها ، ومن ضمنها حقوقنا على مصر »

قلت : « إن الخديو لو أعطيت له الدنيا وما فيها ما كان يتصور أنه يضع قدمه فى الاستانه ما دام سعيد حليم فى الصدارة . أما الآن فان ضميره مرتاح بعد التغيير الأخير . إنما سموه يخشى من انتقام الانجليز منه فى أملاكه بمصر اذا غادر سويسرا وجاء الى الاستانه ، والخديو ضحى بتاجه فى محبة الخلافة والتعلق بها : ولكنه يريد أن يحافظ على أملاكه لمعيشته فى المستقبل ، فمن يضمن له ألا يقع الضرر المحذور ؟ »

فبعد تأمل قال : «الخديو له الحق أن يفكر فى ذلك ، إنما أقدر أن أقول لك : « إن الحكومة السنية تضمن له تعويض كل ضرر يتأتى له »

فشكرته على إحساساته .

ثم قال : «ان الحكومة مستعدة لذلك ، وإذا لم نكن نحن في مناصبنا فالحكومة باقية على كل حال»

وهنا ودعته على أن أرجع إليه لتلقى أوامره قبل سفرى إلى سويسرا .

عند طلعت باشا ثم خرجت من عنده، وقابلت طلعت باشا فى الصدارة فقال : « إن من مقتضى جواب الجناب الخديوى أنك ستبلغنى أموراً هامة فما هى » ؟ فقلت: « إن سيدى تلقى خبر القاء أمور الصدارة لعهدة فخامتكم بكل سرور، فانه يعلم بحميتكم ووطنيتكم، وإنه لا هم لكم إلا خدمة البلاد، والسعى وراء سياسة التوفيق» . فقال : هذا هو واجبنا »

قلت : « لهذا أوفدنى مولاى لازالة سوء التفاهم الحاصل بينه وبين رجال الدولة» فأجاب « ان الاشاعات هنا كثيرة من أن سموه عقد اتفاقاً بينه وبين الانجليز بالنسبة لشخصه ولابنه ، وأنهم ضمنوا له أملاكه فى مصر ، وتعيين أربعين ألف جنيه سنويا لنفقاته ، وملأوا آذان السلطان بهذه الاشاعات ، فأرى لتكذيبها أنه يحسن مجيئه لتمضية شهر الصيام فى الاستانة ، ثم يرجع إلى سويسرا » فأجبته « بأننى لا أخفى عليه أن الانجليز لما علموا بخروج الخديو من الاستانة غاضباً مما كان يراه من سياسة الصدر السابق انتهزوا فرصة إقامته فى بسويسرا للتقرب منه وحاولوا فعلا أن يستميلوه اليهم ، وقالوا : انهم يضمنون له أملاكه فى مصر وفى الاستانة ، ويرفعون الحراسة عنها ، ويقررون له مخصصات سنوية . ولكن الخديو لم يعقد اتفاقا بل كان يسمع ذلك من اذن فيخرج من الأخرى ، لأنه كان يريد بذلك اكتساب الوقت ، ويقول : «إن دوام الحال من المحال » وبالفعل حصل التغيير الأخير فى النظارة

« فهو الآن مستريح البال بوجودكم على هذا الكرسى

« وأن الجناب العالى لولم تكن تنغيصات البرنس سعيد لما خرج من الاستانة ، فانه يود أن يكون فى سرايه محفوفا بعائلته وحاشيته ، ولكنه ما كان يأمن على حياته » ، قال : «نعم ان التنغيصات كانت بين عضوين من عائلة واحدة ، ولكن رجال الحكومة لم يكن لهم دخل فى ذلك » .

قلت : «صحيح ، والخديو يتذكر زيارتكم الأخيرة له مع خليل بك ، وقولكم له : « ان رجال الحكومة لايضمرون نحوه شيئا ، وطلبكم منه زيارة الصدر السابق ، وكان يظن أن هذه الزيارة تصلح الأمور ، إلا أن سعيد حليم لم يقابله مقابلة مرضية ، ولهذا ترك الاستانة

«أما الآن فانه آمن بوجود فخامتكم فى الصدارة وإنما يخشى لو حضر للاستانة

من انتقام الانجليز منه في أملاكه بمصر » فقال: « وهل انتقموا من سعيد حليم؟ » قلت : « لا إنما مركز الاثنين ليس واحداً ، وبما أن الخديو مدين للبنك العقارى فما على الانجليز إلا أن يطلبوا من البنك توقيع الحجز على أملاك سموه وطرحها في المزاد ، فتباع بالغبن وتؤخذ في مقابلة الدين المطلوب منه ، مع أنها تساوى كثيراً ويكون هذا العمل شرعيا » فقال : « أنا لا أظن أن الانجليز يفعلون ذلك ، ولو فعلوا حقيقة لفعلنا نحن أيضا فى أملاكهم عندنا مثل هذا ونعوض الخديو عن كل ما يخسره ، فضلا عن اننا نسهل لسموه معيشته بتقديم المـــال الذى يلزمه ، وقد أعلم أنه يخشى على حياته فانا أعطى له « كلمة شرف » أن حياته لن تمس بضرر ، وانى أصحبه برجالى ، وأضمن له حرية السفر من الاستانة وقت ما يريد للرجوع الى سويسرا » .

قلت: « هذا طيب ، والذى يطلبه سموه أن تعامله الحكومة معاملة محب لا معاملة عدو ، كما يليق بمركزه ، وهو مستعد للقيام بأية خدمة تطلبها منه الحكومة » .

فقال : « لاشك اننا لانتأخر في الاعتراف لسموه بكل حقوقه ، فنحتفل به كما يجب للخديو » فدعوت لفخامته بالنجاح في مشروعاته والتوفيق فى أعماله وطلبت منه أن يأذن لي بالمقابلة قبل سفرى فأجاب طلبي ، وقمت من عنده منشرح الصدر .

مقابلة ناظر العدلية : وفى ١٧ منه قابلت خليل بك ناظر العدلية الجديد « الحقانية » وبلغته سلام الخديو فابدى شكره ثم أوجزت له بيان مهمتى فقال: إنه قرأ جواب الجناب العالى إلى الصدر وكرر لى مسألة الاشاعات فأكدت له أن سموه لم يعقد عقداً مع الانجليز على الرغم من المساعى التى تقدموا بها ، ولما علم بما قاله لى الصدر عن حضور الخديو إلى الاستانة قال: أن لا خوف على

خليل بك ناظر العدلية

سموه من التنغيصات السابقة ، فان المنغص صار بعيداً عن الحكومة ، وإن الوكلاء الحاليين محبون لسموه »

أذناب الصدر : وقابلت صفا بك صاحب جريدة العدل ، وهو مصرى ومحب للخديو ، فعرفني أن أذناب الصدر السابق انزووا ولم يبق منهم صاحب نفوذ إلا الشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور احمد فؤاد ، وأن احمد بك صادق والشيخ محمد عثمان يجتمعان ويترددان على الأخير .

وعرفني بأن احمد فؤاد وشى به لما كتبه في جريدته العدل نقلا عن الجرائد التركية من أن الخديو عمل عملية فى لسانه فأخرج قطعة من رصاص أصابته ، وبقيت تحت لحم اللسان ، وقال العدل : « وهي الاصابة التى حصلت للخديو من المؤامرة التى دبرت لاغتياله » فادعى فؤاد أن كلمة المؤامرة يؤخذ منها أن مظهر الذى اعتدى على حياة سموه له شركاء (والدكتور احمد فؤاد كان من ضمن المشتبه فيهم وشريكا لمظهر) مع أن الحكومة قالت: « إنها حادثة فردية » فكأن العدل بكتابته يكذب قول الحكومة ، وعلى ذلك مثل صفا بك أمام المجلس الحربى ، وصدر الأمر باغلاق جريدته ولكن لم يحكم عليه لأنه أتى بشواهد تفيد أن كلمة مؤامرة تحتمل معنى جماعة ومعنى فرد ، واستدل على ذلك بالعنوان وبالبلاغ الذى صدر بخصوص الاعتداء الذى حصل فى مصر ضد السلطان حسين ، وكتبت الجرائد أنها مؤامرة مع أن الفاعل كان واحداً .

والحكومة قطعت عن العدل المرتب الشهرى مدة ، ولكن بعد الجهد تمكن من إعادته .

مقابلة أخرى لأنور باشا : وفى يوم ٢٣ مايو قابلت أنور باشا فى منزله ، وعرضت عليه خلاصة تحريرية لمحادثتى معه ومع الصدر ، فقال : « إن خلاصة الصدر ينقصها شىء ، فان طلعت باشا قال لك : « إنه يحترم حقوق الخديوية » فقلت : « نعم لقد نسيت أن أدونها فى الخلاصة »

قلت له : « وهل تسمح لى بأن أدون الخلاصتين فى صورة برقية مختصرة ، اورسلهما بامضائى الى الخديو بشفرة الحربية الى الملحق العسكرى بسفارة برن لتوصيلها بمعرفته؟ » قال : نعم . قلت : « وهل اذا حضر الخديو الى الاستانة تنوى الحكومة أن توعز الى المصريين بتقديم احتراماتهم له ؟ فان وجود حزبين واحد لسموه وواحد

للبرنس سعيد شيء غير حسن! » قال: « نوعز لهم بذلك ، فضلاعن أن سعيد حليم ليس له الآن أى شأن ، وعلاوة على هذا سنكل الأمر في ترتيب المعاشات للمصريين الى الجناب الخديوى بدلا من اجراء التحقيق عنها بواسطة نظارة الداخلية » . قلت: « هذا حسن » . وأخيراً طلبت منه بموجب مذكرة ارسال برقية الى الملحق العسكرى في فينا لاجراء ما يلزم لدى السلطة العسكرية النمسوية لسفرى الى سويسرة بغير حجز فى كورنتينه ، وأن يرسل أمرا الى المحطة بحفظ سرير لى يوم سفرى فكتب مذكرة بصدد هاتين المسألتين لاعطائها الى مرافقه ، فشكرته وخرجت .

الحصول على ورقة رسمية : زرت بعدها الصدر وأطلعته على خلاصة محادثتى معه فقط ، فأخذ القلم وأصلح وأضاف عليها وسلمها الى ، فأخذتها وأنا فى غاية السرور لأنها صارت ورقة رسمية فيها كل الضمانات ، ولو أن فخامته لم يوقع عليها بامضائه .

وطلبت منه بمذكرة ، أن يأمر بتسهيل مبادلة بريد الخديو بين برن وفينا فوعد بأعطاء الأوامر .

واستفهمت منه عما اذا كان سيعطيني رد الجواب الذى أرسله له الخديو بواسطتى فأمر بأن احضر عنده يوم الاثنين المقبل ، أى قبل سفرى بيوم لآخذه .

وبعد رجوعى وردت اشارة تليفونية من أنور باشا بأن تكون الخلاصة التى ترسل للخديو خاصة بمحادثتى مع الصدر فقط ، وقد أعددت صورة هذه البرقية وتوجهت الى منزله يوم ٢٤ منه ولما لم أجده تركتها لمرافقه .

خطاب طلعت للخديو : وفى يوم ٢٨ منه قابلت الصدر ، فأخذت منه الرد على خطاب الخديو ، وفيه يقول: « إنه قابلني ودار الكلام بيننا على المسائل المهمة ، وإننى سأعرض على سموه كل ما حصل من الحديث ، وإن فخامته رفع الى السلطان هذه الشئون فتلقاها بارتياح وسرور » . وبعد أن قرأه سلمه لى ، وقد استأذنته فى وضعه مع خطاب من دولة الوالدة في ظرف واحد وختمه من المراقبة ، لئلا يفتح فأجاب هذا الطلب .

السفر من الاستانة : وفي يوم ٢٩ منه سافرت من الاستانة فوصلت إلى فينا يوم ٣١ منه ونزلت فى فندق أمبريال .

عقبات : وقد وجدت فى طريقى من العقبات مثلما لقيته فى المرة الأولى من جراء تأخير الأوامر ، فسلمت الأوراق التى أحملها إلى سفارة الدولة في فينا لتوصيلها

الى الجناب العالى فى زوريخ ، وقد وعد السفير باتخاذ الاجراءات اللازمة لسرعة سفرى بدون كورنتينه .

مفاجأة بمقابلة الخديو : ولم أتمكن من متابعة السير إلا يوم ٨ يونيو فسافرت مساء إلى « انسبروك » وبعدها الى « فلدكرش » على حدود النمسا ومنها إلى « بوكس » . وفيها انتظرت حضور القطار الذى سأركبه إلى زوريخ ، فلما حضر توجهت الى المركبة ؛ واذا بنور الدين افندى يتلقانى ، ولما دخلت معه إلى « الديوان الخاص بى » وجدت الخديو واقفا فقال لى : « الحمد لله على السلامة » . فقبلت يده وجلست معه وكان يبدو على وجهه السرور . فقال : « إننى لم أكن أعتقد أنك تصل إلى الاستانة ، حتى إنه لما وصلت برقيتك كنت بين مصدق ومكذب » .

قلت لسموه : « إننى بمعونة الله تعالى نجحت فى مهمتى نجاحا عظيما ، وحصلت على ضمانات وافية ، فى ورقة شبه رسمية لأن الصدر اطلع عليها وأضاف بخطه بعض ملاحظات فى خلاصة حديثى معه » .

وعند ماسمع الخديو ذلك ـ وكنا جالسين ـ وقف نصف وقفة وفتح ذراعيه وضمهما على ذراعى فى ابتهاج وسرور ، دليلا على امتنانه واعترافه بحسن صنيعى .

العودة إلى زوريخ : وبعد ذلك واصلنا السفر إلى زوريخ فبلغناها يوم ١٠ يونيو . وهناك استعلمت من سفارة الدولة فى برن عن وصول الأوراق ، فاذا بالسفير متغيب ، وفى اليوم التالى تسلمتها من السفارة ، وكان الخديو ينتظرنى ، فاطلع على خطاب الصدر ، وعلى الخلاصتين وتعديلات طلعت باشا ، فاطمأن . وقد أمر نور الدين افندي بترجمتها إلى اللغة الفرنسية .

السعى لموافقة النمسا وألمانيا على المخابرات : وفى يوم ١٢ استحضرنا الدكتور سيد كامل ، وأمره سموه بتنظيم المعلومات المبعثرة فى الأوراق ، ووضع كل منها تحت عنوان خاص . ثم فكرنا فيما يجب عمله بعد ذلك ، فاقترحت أن نسعى لموافقة النمسا وألمانيا على نتيجة هذه المخابرات لتأكيدها ؛ وبعد المناقشة اتفقنا على استحضار الدكتور امستر ، وتكليفه إيصال صورة من هذه المخابرات للنمسا وألمانيا ، وكذلك تحضير الترتيبات لديهما فيما يختص بمرور الخديو عند سفره للاستانة .

وقد قابلت سفير الدولة وسفير النمسا لتسهيل حضور الدكتور امستر ، ولكن بعد البحث علمنا أن حضوره يتعذر ، وعلمت أن الخديو سيرسل رجلا ألمانياً يثق به للقيام بهذا العمل ، ولم يصرح سموه باسم هذا الرجل .

تردد الخديو : وكان المنتظر بعد عودتى من الاستانة ناجحاً فى مهمتى أن ينتهز الخديو هذه الفرصة ويبادر بالسفر اليها ، ولكن سموه ظل يتردد ويماطل وأراد أن يأمر جلال الدين مرة أخرى بالسفر فرفض ، فاستدعى عارف باشا من الاستانة .

وفى يوم ١١ يوليو جمعنا أنا والبرنس ابراهيم حلمى ، واجتمعنا مرتين ، وانضم الينا فى الثانية عبد الحميد شديد ، وتكلمنا فى موضوع مهمتى فى الاستانة ، فكان من رأى البرنس أن يتخذ الخديو خطة الانحياز إلى الاتراك ومحالفيهم أو الانكليز وحلفائهم ، وإذا اختار الجهة الأولى فينبغى الاسراع فى تنفيذها ، وقد رجح هذه الجهة .

عندئذ أخرج سموه من محفظته صورة رسالة وردت له من الانجليز ، وفيها الشروط النهائية ، وقال : « إن بلفور رئيس الوزارة الانجليزية أرسل برقية يقول بضرورة اعتراف الخديو بسلطنة عمه البرنس حسين وإلا فلا ، وآخر موعد لقبول الشروط كما هى أو رفضها هو يوم السبت القادم » ثم قرأ الشروط وفيها أن الخديو ينزل عن حقوقه فى عرش مصر ، وألا يطالب بشىء لولى عهده ، وأن الحكومة الانجليزية هى التى تنظر فى مصلحته ، وأن يعترف بالحالة الحاضرة فى مصر وبسلطنة عمه حسين ، وبألا يعود إلى البلاد . وفى مقابلة ذلك تخصص الحكومة المصرية له ألفى جنيه شهرياً مدة حياته ، وترفع الحراسة عن أملاكه ، وتصرف له مايزيد من إيراداتها (بعد وفاء قسط البنك) ولا تمانع فى قبض ما قد يخصه فى إيراد ما يمكن أن تتركه والدته أو أى إنسان آخر ، وأن يقف أملاكه لصالح أولاده .

وكان عباس يرى أنها شروط مجحفة بقدره ، خصوصاً اعترافه بسلطنة عمه التى سلبها منه فضلا عن أنه ينوى محاسبته على أخذه فضيات وخيولا وعربات ليست للخديوية بل ورثها من والده . ولهذا فهو يفكر فى إرسال مذكرة إلى الانجليز مؤداها أنه لا يقبل الحط من كرامته (بالاعتراف بسلطنة عمه) قال : « وإنه يرجح طرف الأتراك لو تساوت الشروط حيث لا يكون هناك حطة فى قدره فضلا عن إقامته فى بيئة إسلامية ، وإنما من جهة أخرى يرى أن المبلغ الذى سيخصص له من مصر محقق ، بينما الذى ستخصصه الدولة لا يمكن الاعتماد عليه ، حيث يقف أحد أعضاء مجلس النواب ويقول بكثرة المبلغ ؛ أو تأتى نظارة غير الحالية وترفض استمرار المخصصات التى تقررت بواسطة هيئة سابقة — ومن جهة أخرى فأنه يخشى

من تطاول بعض المأمورين عليه ، أو أنهم ينغصونه في معيشته . فكان رأينا جميعاً أن نطلب من ألمانيا ضمانة الشروط التى تعرضها الدولة؛ فقال الخديو: « إنه فكر فى أن يطلب من المحامى فورر أن يتكلم مع مسيو هوفمان الذى كان مديراً للأمور الخارجية فى سويسرا ، لتحصل بواسطته المخابرة مع سفير ألمانيا على هذه الضمانة وإن لم يقبل هوفمان فأنه يطلب حضور موسيو رشتهوفن (وكان عضوا بصندوق الدين والآن عضو فى البرلمان وصاحب نفوذ) ويكلفه بهذه المأمورية ، وانه سبق أن تقابل معه فى سويسرا ، وطلب منه التوسط ، فلما رجع الى برلين وتخابر مع ناظر الخارجية أرسل يقول: إن ألمانيا تكتفى بأرسال ولى عهده وادخاله فى مدرسة حربية ، ويعامل كمعاملة الأمراء ويأخذ نيشاناً ، وأشار بأنه يكفى أهلها ميل الخديو »

عند ذلك حصلت مناقشة فيما إذا كان البرنس عبدالمنعم يقبل السفر ، وكنت على علم باتجاه أفكار دولته من محادثاتى معه فقلت : لا ، لأنه يرجح جانب الانجليز وشديد قال أيضاً بذلك ، ولكن بتحفظ ، فقال عارف باشا : « نضعه فى القطار غصباً عنه ونرسله » فضحكنا !

قال سموه: « اذا سافرت وحدى دون أولادى فان الأتراك يقولون: إننى تركت ولى العهد باتفاق بيننا على أن يسعى لدى الانجليز » فأجبناه بأنه عند وصوله للأستانة يعد رجال الدولة بضم نجله اليهم .

قال : وان الانجليز وقتها يرخصون ليوسف باشا صديق في دخول بلاد فرنسا ويتفقون معه على أن يقدم تقريراً فى حقى يدعى فيه بأننى قمت بأعمال عدائية ضد الانجليز ، وبذلك يحكمون على بحرمانى من أملاكى . قلت : « اذا حصل ذلك فان الدولة تعوض سموكم من أملاك الانجليز فى بلادها » .

وقال : « إنى أفضل أن تكون أملاكى فى تركيا لأننى أكون حراً فى استثمارها وتأتى بريع أكثر . أما أملاكى فى مصر فاننى لا أراها بعد الآن والذى سيديرها يرسل لى خطابات فقط ويقول: لقد بعنا المحصول بكذا ، وعملنا كيت وكيت بدون أن يكون لى أقل سلطان على أعماله وآرائه

« ثم إنه يمكننى أن « أنشىء وقفاً » باختيارى أعطى من ريعه لمن أشاء ولأية جهة أريدها ، وليس محتماً علي أن أعطى إيراده لأولادى ، لأنهم حينما يعلمون بذلك لا يسألون عنى ، ولا يبعد أن يسعوا فى الحجر على كأننى مسرف

ثم أخذ يشكو من معاملة الأتراك ، فقال: « إننى أرسلت برقية الى الصدر لمناسبة شهر رمضان بتهنئة السلطان بواسطته وبتهنئته أيضاً ، ولم يرد الرد للآن ، فقال البرنس ابراهيم : « إن مترجم الصدارة وهو أسعد بك من رجال سعيد حليم ، ولا يبعد أنه لم يعرضه ، على الصدر » فقال سموه : « هذا محتمل ، وسأرسل بتهنئة العيد »

وفى المساء اجتمعت بعباس وشديد، فدارت المناقشة مرة ثالثة في الموضوع، وشرح الأخير نظريته وهى : ماذا يكون الحال اذا حصل اتفاق مع الأتراك وصدق عليه من الألمان ، ثم سقطت الحكومتان . فهل نضمن أنه فى حالة عدم قيام الدولة بدفع المخصصات أن تقوم ألمانيا بدفعها ؟ واعتراضات أخرى ترجح كفة شروط الانجليز لأنها أكثر ضماناً . فقلت : « أما من جهة المال فان شروط الانجليز أضمن ، وما على أفندينا إلا قبولها خصوصاً وأن ميعاد التوقيع عليها قريب جداً ، مع أن المساعى التى سنجريها عند الألمان والأتراك تقتضى وقتاً طويلا ، ولكن ماذا يفعل الخديو بعد الحرب؟ فالأتراك لا يرضون باقامته فى بلادهم » قال شديد: « وربما حكموا عليه بتهمة انضمامه للأعداء » ثم قال: « إنما بعد سنتين أو ثلاث يجوز أن الحكومة التى تكون فى الأستانة وقتها ترخص فى الاقامة » قلت: « اذا كان أفندينا يرتاح لما يطلبه الانجليز وهو أدرى منا بصالحه فما عليه إلا القبول » فأجاب سموه بأنه لا يرى الاتفاق معهم من الجهة المالية فى صالحه ، لأن ألفى جنيه لا تكفيه ولا تكفى نفقات أولاده التى يقدرها بمائة وخمسين جنيهاً شهرياً لكل منهم ، ولو أضاف إليها ألفين أخرى من ريع أملاكه .

وأن شرط وقف الأطيان لذريته يغل يديه ، ولا يمكنه من عمل خيرات مثل إنشاء مساجد فى الجهات الخالية منها أو تعمير المندثر ، وهذا الشرط يشجع الأولاد على أن يطلبوا موته في القريب العاجل . فضلا عن أن الاتفاق لا يذكر شيئاً بشأن ما يمتلكه فى شركتى الأزبكية والبيان فون ، فماذا يحصل لها ياترى بعد الاتفاق ؟ ثم شرط استيلائى على ريع ماقد تتركه الوالدة أو غيرها يثير اللغط حول سمعتى، فيزعم الناس أننى أنا الذى طلبت ذلك وهو دليل على رغبة فى موت دولتها .

وأخيراً قال : « لولا ما أتوقعه من التنغيصات عند وجودى في بلاد الدولة وما أراه من وجود أناس ضدنا لقبلت فى الحال شروط طلعت باشا »

وقال عارف : « إنه يظن بأن ذلك آخر كلام من رجال الدولة مع سموه ، ومع ذلك يمكن أن نطلب منهم توفير الراحة لأفندينا فى كل شىء » فاتفق الرأى على أن جنابه يحضر مذكرة ليأخذها الباشا ، ويتوجه بها لطلعت ، ويعرضها عليه ويقول له : « إن الأوامر التى كانت أعطيت لشفيق هى الكلام إجمالياً ، وبما أننا وجدنا حسن قبول فنريد أن نتفاهم على التفاصيل ، ومن جهة أخرى نبحث مع ألمانيا حتى نصل إلى ما نريد .

وكان الدكتور سيد كامل الذى لم يحضر اجتماعاتنا يعتقد بأن الخديو لن يذهب إلى الاستانة ، ويعتقد أن كل ما يفعله هو مناورات تاجر يريد أن يربح من أية جهة تعطيه أكثر من غيرها ، حتى إن طلب سموه الحصول على ردود برقية من الاستانة على بعض المسائل مثل مسألة نور الدين هى سياسة دقيقة ، الغرض منها أن يفهم الانكليز أن الأتراك يهتمون به ، وبذلك يضمن اهتمام الانجليز به .

وفى ١٢ اجتمعنا عباس والبرنس ابراهيم وعارف وشديد وأنا ، وقال سموه : « إن هذا الاجتماع يمكن أن نسميه عائلياً لأن البرنس من العائلة وأنتم من المخلصين لى »

وقد تناقشنا فى الموضوع فأخذ رأى البرنس فيما إذا كانت شروط الانجليز مما يمكن قبوله . فقال : لا . وسألنى بعدها عن رأيى فتوقفت برهة وقلت : « إنها من الجهة الأدبية غير موافقة »

قال لأنى بقبولى هذه الشروط أكون عملت عملا يناقض الخطة التى اتبعتها مدة الاثنتين والعشرين سنة التى حكمتها .

قلت : « أما من الجهة المادية » ، فقاطعنى سموه قائلا : « وهى أيضاً رديئة » فتكلم شديد شارحاً ما جاء فى الشروط ، وقال : « إن المصريين حينما يقرأونها يقولون إن الخديو أجبر على قبولها نظراً لما حصل له من الضيق » فرددت عليه بأنهم سيعلمون أن الدولة عرضت عليه كلما يلزمه . وأخيراً تقرر كتابة مذكرة فأخذ عارف باشا القلم ووضع رءوس المسائل .

وقد سافر الخديو بعد الظهر لمقابلة المحامى فورر فى سن جال للتكلم معه فى انتداب الموسيو هوفمان ليتولى المخابرات مع ألمانيا .

وفي ١٣ اجتمعنا فى فندق دولدر (فوق زوريخ) الخديو والبرنس وأنا ، وعند المناقشـــة ابتدرنا سموه قائلا : « كيف يثق الانسان بكلام الأتراك وهم كل يوم

يخلقون لنا الصعوبات ، فيكن أراد التأشير على جواز للسفر إلى الاستانة ، فقال قنصل الدولة فى زوريخ: « إنه توجد أوامر من مقتضاها عدم التأشير لرجال الحاشية إلا بعد الاستئذان » وكذلك حصل مع الشيخ عبدالحميد ، فكيف نتحمل كل هذه الاهانات ؟ إن الأحسن حينئذ أن نتحمل إهانة الانجليز مرة واحدة ، ثم نستريح ولكننا مع الأتراك سنظل دائماً على ذلك الحال » .

فأجابه البرنس بأنها أصول تقررت لاتباعها مع جميع المصريين بقرار وزارى فهى عامة .

وقد تكلمت أنا أمام سموه بالتليفون مع فؤاد بك سليم فقال: « إن الأوامر صدرت منذ سنة ونصف تقريباً بألا يؤشر على جوازات سفر المصريين إلا إذا جاءت الموافقة من الاستانة ، فالذى قاله قنصل جنرال زوريخ من أنها خاصة بحاشية أفندينا غير صحيح » .

ولما سمعت من الخديو انتقاده المر ظننت أنه غير فكره من حيث الاتفاق مع الأتراك فقلت له : « إن أفندينا يفعل مايريحه ، وإذا كان متخوفاً من الأتراك فليتفق مع الانجليز » . وكنت اعتقدت أنه تعرض لبعض المؤثرات من أمس لليوم ، فاحتج بمسألة يكن للتخلص من مشروع الاتفاق مع الأتراك حتى قال فى أثناء الكلام: « هاهو عملنا أمس ذهب بدون فائدة » قلت : « وهل الذى غير فكر أفندينا هو جواز سفر يكن؟ » فأجاب إنها مسألة مهمة

إلا أنه فى النهاية أمرنى بأن أطلب من عارف صورة المشروع ، وقرأناه وأضاف عليه أيضا نقطة تتعلق بحريته فى انتقاء مستخدميه، وأمر عارف بترجمته للفرنسية ؛ وبعد أن خرج البرنس أمرنى وشديد بك بأن نبق معه للتفكير فى الرد الذى ينوى عمله فى صدد الاتفاق مع الانجليز، فسألت زميلى عما يقصده؟ فقال : يعنى رفض الاتفاق ، وبعد الظهر اجتمعت به وبشديد، وتكلمنا فى الموضوع وكان يبدو على وجهه القلق، ومما قاله : إنه يفضل كثيراً الاتفاق مع الأتراك إلا أنه لايأمن لوعودهم . وأخيرا قرر الاجتماع لآخر مرة فى المساء عند البرنس ابراهيم لاتخاذ قرار حاسم .

وقد سأله شديد عما قاله فورر فى مسألة توسط هوفمان فقال: « إنه سيتكلم مع الأخير ولكن فى حذر، ولا يمكن أن يأتى الجواب إلا بعد ٨ أيام ، لأن هوفمان لدغ من الألمان مرة فلا يريد أن يلدغ مرتين ، لهذا يحتاج فورر أن يوسوسه رويداً

رويداً ، ثم اجتمعنا فى المساء ، وتكلمنا فى الموضوع ، وكان سموه متردداً وكرر سؤاله لماذا لم يرد طلعت على برقيتى ؟ لماذا لم يرد على خطابى الذى أرسلته لابراهيم بك أدهم وفيه تعليمات بأرسال برقية بشأن المحروسة ؟ فلا برقية وردت لى ولا أعلم إن كان خطابى وصل أو لم يصل . ولماذا لم يحضر حامد العشى المحجوز بفينا ـ مع أن عارف باشا طلب له الأذن من طلعت قبل سفره من الاستانة ، فأجاب بأن يقدم حامد الطلب كالمعتاد؟ فأجبناه بأن الخطاب ربما لم يصل ، أو أنه وصل ولكن البرقية التى يحتمل أن يكون أرسلها أدهم بك لم ترخص بها السلطة . أما حامد فلأن الأجراءات تستلزم مدة طويلة ، ومسألة رد الصدر على تهنئة رمضان فلعل أسعد بك قال لفخامته بعدم وجود سوابق ، قال سموه : فكيف أثق بالأتراك مادامت الصعوبات قائمة هنا وهناك ؟ ومن يضمن لنا أنهم لم يشعروا بالموجدة لأننا تأخرنا عن السفر للآن؟ فقال البرنس : إن برقية أفندينا له كانت قبل سفر دولته ولما قابله عارف باشا لم يظهر الصدر غضباً ، بل قال إذا حضر الخديو فيكون ذلك من صالحه وكلفه تقديم احتراماته . قال سموه : إذا كانوا متأثرين فربما يتأخرون عن قبول طلباتنا . قلت : لا أظن لأنها فى مجموعها لا تخرج عما يفكرون فيه بل فيها أشياء تثبت أن أفندينا مخلص لهم ، وإذا كان فيها نقطة واحدة تحتمل القبول أو الرد فهى تصديق ألمانيا ، والشروط كلها في صالحنا . قال سموه : إنك تقول حينئذ بقبولها قلت: أنا أقول ماأراه ، ولكن أرجو أفندينا ألا يتأثر بكلامى ـ والذى أعلمه أن سموكم لا تتأثرون بكلام إنسان فأن فى ذلك مسئولية ـ فقال: لا لاتخف ، وأخيرا قال: ، ولكن مارأيكم فى الشىء المستعجل، وهو الرد الذى لابد أن أعطيه غدا على شروط الأنجليز ؟ فأن المشهور عنى أنى أماطل ، وأنى أتنحى بسبب شىء طفيف ، وهل أرفض الشروط؟ ، فقلنا بأننا لا نرفضها صراحة . وأخيرا اتفق الرأى على أن يتوجه شديد بك إلى السفارة الأنجليزية فى برن، وينبئهم أن الخديو درس الشروط فوجدها صعبة عليه خصوصاً الاعتراف بسلطنة عمه ، وأنتم تقولون ألا تعديل فيها . فاذا كان لا يمكنكم عمل شىء ، فسموه بدلا من كتابة جواب كما قال ـ سابقاً ـ يوفد مندوباً إلى انجلترا لأتمام المساعى هناك تخفيفاً لوطأة الشروط . وفي هذا الوقت يسافر عارف باشا فى أقرب فرصة إلى الاستانة ، ويعرض الشروط التى سنتفق عليها مع الأتراك ، وفى ظرف أسبوعين يتمكن من إرسال برقية نفهم منها هل الحكومة قبلتها

أولا . وفى حالة القبـــول نرفض شروط الانجليز .

وفى هـذا الاجتماع علمت أن الانجليز عرضوا شروطاً فى أول مرة فبدلها الخديو ، فقبلوا بعض التعديل ، ومن التعديلات أن يستمر مرتب ألفى الجنيه طول حياته لا لانتهاء الدين ، وأنهم سينظرون في إعطاء مخصصات لأولاده (ولكن لم تدرج فى الشروط) وأضافوا اعتراف سموه بسلطنة عمه ، وبأعطائه الباقى من ريع مايمكن أن يؤول إليه بالإرث أو غيره ، وحبس الوقف على أولاده ، مع أنه كان يجب أن يخصص شيئا للخيرات .

وفى ١٤ يوليو قابلت البرنس ابراهيم حلمى وعارف باشا فأظهر دولته ارتياحه لما سمعه منى ليلة أمس فى أثناء المناقشة ، وقال لعارف : « جزى الله شفيق خيراً » ثم قال : « يظهر لى أن هناك أناساً منهم شديد بك يشتغلون لصالح الأنجليز » قلت : وطبعاً منهم لوزانج . قال إنى قرأت الاتفاق الذى كان وضعه سموه والاتفاق الذى أرسله الآن الأنجليز والفرق بينهما كبير ، وأن الاتفاقين فى مجموعهما مضران ، وأن الخلافة والعالم الأسلامى والأوروبى يلومونه على مايصنع من هذا القبيل ويلومه الأنجليز فى الباطن ، وأنا إذا وقع سموه هذا الاتفاق فانى أقول له : « إن شاء الله يكون خيراً والسلام عليكم ، وأدعه لشأنه »

فأخبرت دولته بمناقشاتى العديدة مع سموه خشية لوم اللائمين على فى مصر أن يحسبوا أنى لم أقم بواجباتى نحوه ، وأنا أكبر الحاشية وأخبرته أيضاً بأنه أخفى عنى مخابراته مع الأنكليز ولم يعلمنى بورود الشروط منـــذ ثلاثة أسابيع إلا فى حضوره أخيرا .

وقد جاء النبأ بالتليفون من شديد أن اللورد اكتون لما علم باعتراض الخديو على شرط الاعتراف بسلطنة عمه ، وأنه إذا لم يقبل اللورد المخابرة مع انكلترا فى هذه النقطة فان سموه يرسل مندوباً من قبله إلى انكلترا .

أجاب بأنه سيبرق إلى انكلترا فى هذا المعنى ، ولكن ليعلم سموه أن لاشأن للورد الآن بالمسألة ، ولا داعى إلى إرسال تلفونات له ولا طلب مقابلاته بعد الآن .

قال عارف : « إن الخديو أخبره بأن جلال الدين باشا كلمه تليفونياً قائلا : إنه تحقق من وجود مندوبين فى سويسرا من المتحاربين للاتفاق على عمل الصلح . والمظنون أن الصلح يتم بعد ثلاثة أشهر فقال : إذا حصل ذلك فأنا لم أزل خديويا . وسأل

الباشا مدام نوزانج عن رأيها فقالت: إنها لاترفض الأقامة فى الأستانة ، إلا أنها تخشى على حياة أفندينا !

مذكرة للصدر يحملها عارف باشا : وقد قرأ عارف باشا علينا المذكرة التى ستقدم للصدر بمعرفته، وبعد تعديل وإضافة أقرها عباس ، وهى تبتدىء بمقدمة يقول فيها : «إنه تلقى نتيجة مخابرات شفيق باشا بالرضى والشكران والافتخار ، وأنه كان كلف جلال الدين باشا أن يسافر إلى الآستانة لتقديم هذه المذكرة التى هى عبارة عن مقترحات فخامته مع بعض إضافات وتمنيات ، ولكن لما رفض جلال الدين باشا السفر اضطر سموه أن يكلف عارف باشا هذه المهمة ، وهذا هو العذر فى تأخير الأجابة على المقترحات المذكورة . ومضمونها :

أولا : أن الحكومة العثمانية تعطى سموه المخصصات التى كان يتناولها من مصر طول مدة الحرب (يعنى مائة ألف جنيــه مصرى سنوياً) وفى مؤتمر الصلح إذا كانت مصر ـ لاسمح الله ـ لاترجع إلى حالتها الأصلية ، فالدولة تطلب من انجلترا أن تخصص لسموه أربعين ألف جنيه مصرى من الخزانة المصرية ، وفى حالة عدم النجاح تتعهد الدولة بدفع ألفى جنيه مصرى شهريا لسموه مادام حياً

ثانياً : الضمانات على حرية إقامتــه وخروجه إلى البلاد المتحالفة مع الدولة أو الدول المتحايدة والتأمين على حياته وإعطائه الاعتبارات الرسمية للخديوية فقد تلقاها سموه بالامتنان .

ثالثاً : أنه عند سفره إلى الآستانه ، إذا رفض البرنس عبد المنعم اتباع الخطة التى يتخذها والده فان سموه يطلب من الدولة ، فى أثناء الصلح . أن يكون ولى العهد هو البرنس عبد القادر

رابعاً : لما كان الاتفاق الذى حصل فى أوائل الحرب مع الخديو حصل باتحاد مع الدولة ودولة ألمانيا فيطلب سموه تصديق الثانية على هذه الشروط .

ثم يلى ذلك طلبات ثانوية منها دفع ديونه لغاية سفره من سويسرا (للمحامين والأطباء وغيرهم) وأن يرسل إلى سموه جواب من الحربية بأن المحروسة لايصح استعمالها فلا تأخذها الحربية كما كانت عازمة على ذلك ، وألا يفاتح سمـوه فى مسألة زواج بنتيه لابنى السلطان . لأنه بلغه أن هناك محاولات من هذا النوع تبذل لدى حرمه فى الآستانة .

وقد سافر الباشا يوم ١٨ يوليو حاملا هذه المقترحات .

رد صريح من طلعت تعززه رسالة من أنور : وبعد هذا التاريخ لم يعد لدينا أعمال هامة فذهبت أنا لأخذ حمامات والتريض مع العائلة إلى أن كان يوم ٢٢ أغسطس فحادثنى عبد الله شديد تليفونياً وأخبرنى بحضور عارف باشا وطلب منى الحضور إلى جنيف يوم ٢٣ منه . ولما اجتمعنا قال الخديو : « إن طلعت باشا يتبع معنا خطة صريحة لاغموض فيها بعكس ماعرف عن الأتراك من المماطلات ، فقد أرسل لى جواباً يقول فيه : إنه يقبل كيت وكيت ويرفض نقطاً معينة وهى الخاصة بضمان ألمانيا فلا يقبل التدخل في الشئون الداخلية للدولة . وكذلك نقطة تخصيص مبلغ من المال شهري في حالة عدم نجاح الدولة في استرجاع مصر ، فأن هذا الكلام يثير الانتقادات ضد الصدارة الحالية فما دامت غير واثقة من نجاحها فلماذا تبق في مقاعدها . ومع أنى أحمد له هذه الصراحة إلا أننى أستدل من رده على أنه ليس بالرجل الذى يعرف الحل المناسب للمعضلات فأن نابليون قال بحذف كلمة مستحيل من القاموس » ثم قال سموه : أنا معترف بصعوبة مركز الصدر فى قبول النقطتين ، ولكن النقطة المالية يمكنه أن يجد لها حلا (وكان شديد اقترح أن يضمن البنك العثمانى الألفى جنيه شهرياً فوجده سموه حلا موافقاً) .

ثم قال : « حينئذ ماذا استفدنا من الاتفاق مع الترك على هذه الصورة ؟ خصوصاً وأنهم لم يجيبونى على أى طلب من طلباتى حتى مسألة المحروسة ؟ أما الاتفاق مع الأنكليز فأنه يضمن لى معيشة المستقبل ؛ فماذا ينفع أن الأتراك يعطوننى مخصصاتى مدة الحرب وبعدها لايضمنون لى شيئاً ؟ فهل فى مدة الحرب سأقتصد من المخصصات مبلغاً يكفينى لمعيشتى طول حياتى ؟ »

قلت : « حقيقة ما كنت أتصور أن الأتراك يرفضون إجابة طلب أفندينا بتخصيص ألفى جنيه من خزانة الدولة بعد الحرب ، ولكن يظهر أن هناك صعوبات وعارف باشا كررها لنا وهى (أولا) أن الاتفاق على أمر مجهول العاقبة فى المستقبل لاقيمة له (ثانياً) أن كل اتفاق مالى يلزم عرضه على مجلس النواب ولا يمكن طلعت أن يقول للمجلس : « فيما إذا لم تتمكن الدولة من إرجاع مصر لحالتها الأصلية » فأن أعضاء مجلس النواب يثورون على الحكومة ويقولون لها ولماذا دخلت الحرب ؟ . فما علينا إذن إلا أن نطلب من ألمانيا أن تكون هى الضامنة لهذا المبلغ » وأخيراً

طلبت قراءة خطاب الصدر ، فلما تلاه عارف وجدناه يقول : « إن المخصصات الخديوية تصرف شهرياً بصفة منتظمة ، (ولم يحدد مدة الدفع إلى نهاية الحرب) عندها استراح عباس نوعا ، وقد جاء فى الرد أنه تلقى خطاب سموه بالتعظيم ، وانه علم برغائب جنابه العالى التى أرسلها على يد عارف باشا وأنه جدد البحث مع زملائه فيها ويعرض أنه كما أجاب شفيق باشا بهذه الرغائب فأن الحكومة العثمانية ترى أنه من الطبيعى أن يكون لسموه الحرية التامة فى الأقامة بالاستانة والسفرمنها إلى البلاد المحالفة أو المحايدة ، وأنها تصرف له المخصصات الخديوية شهرياً بانتظام وأن شئون المصريين ورجال سموه يرجع الأمرفيها إلى جنابه العالى ، وبالاختصار كل ما جاء فى مذكرة سموه ماعدا النقطتين المذكورتين ، فان الحكومة لاتجد طريقة لتطبيقهما . وأنه يلتمس تعريفه برقياً عند تشريف ركابه للاستانة .

وقد أرسل أنور باشا أيضاً خطاباً آخر لطيفاً يقول فيه : إنه متفق مع الصدر فى كل ماجاء فى جواب فخامته وأنه يرى الفائدة لسموه فى عودته إلى الآستانة ولا يلتمس من جنابه العالى إلا ثقته برجال الدولة » .

وعارف قال : « إن مجلس الوكلاء بحث فى رغائب الجناب العالى فى جلستين يوم الثلاثاء ويوم الأحد وأن الصدر هوالذى كتب بخطه الجواب على رغائب سموه وأمضاه باعتباره صدراً أعظم وناظرا للداخلية ، وقال فخامته لما سئل عن عدم التصريح ليكن بأخذ جواز سفره إنه لا يعرف الباشا من هو ، وعلى أى حال فانه صدر قرار وزارى بعدم التصريح بالذهاب لسويسره ، ولا بالأياب منها ، ويكن لم يطلب تصريحاً بالحضور إلى الأستانة باعتباره موظفاً خديوياً » .

شديد يزين للخديو جانب الانكليز وهو يرجح جانب الأتراك : وفى صباح ٥٢ أغسطس وجدت الخديو يتناقش مع شديد بك فى الموضوع والبك يقول : مادام الصدر لم يضمن لأفندينا المخصصات بعد الحرب ، وإن الطلبات التى أجاب عليها الآن ربما لا تكون لها قيمة فيما إذا تغير الصدر حينئذ لا فائدة من الاتفاق مع الأتراك بخلاف الاتفاق مع الأنجليز فان كل شىء فيه مضمون . وقد دهشت لما سمعت عباسا يجيب على هذه الملحوظات بقوة مفندا لها ومحبذا الاتفاق مع الاتراك ومع هذا قال « إن الباب مفتوح أمامى . فيمكن الاتفاق مع الانكليز كما يمكننى الانتهاء مع الدولة، وإننى بعد كل تدبر أرى المنفعة فى الاتفاق مع الدولة

فانه يبقى لى صفة الخديوية، ويحافظ على موقفى السياسى ويضمن لى المعيشة بالراحة فى بلاد إسلامية وبين أهلى وحاشيتى؛ وأظن فى وقت الصلح لا ترفض إنجلترا تخصيص ألفى جنيه شهرياً لى.

وعلى ذلك تقرر أن يمهد للسفر وأن يكون بعد عيد الأضحى مباشرة — أى فى أوائل أكتوبر — وتقرر أن نحضر مذكرة بالمسائل اللازم تنفيذها قبل وصول الخديو إلى الأستانة مثل إبعاد الدكتور أحمد فؤاد الذى يعمل الآن فى إدارة الأمن العام بتركيا فان الصدر قال: إننا بعد تجربة أربع سنوات لا نجد لهذا الشخص أهمية مطلقاً وإننا نبعده عن الأستانة إلى أى محل يريده أفندينا

وحصل الكلام بعد ذلك فى أن تنفيذ هذه المسائل يستلزم رجلا خلاف عارف باشا ولمح الخديو مرارا إلى بدون ذكر اسمى؛ ولكنى تظاهرت بأنى لا أفهم مايريده لأنه لا يمكننى أن أترك عائلتى وهى الآن فى معالجة من مرض.

ترتيبات السفر: عندئذ قرر أن يذهب يكن باشا باعتباره رئيساً للتشريفات الخديوية. مع عارف باشا، وأن تصدر إرادة خديوية لرمزى باشا طاهر بتعيينه سرياورا؛ ويقسم العمل إلى ثلاثة أقسام: عسكرى يشتغل به رمزى باشا والثانى يختص بجيبوقلى ويقوم به ابراهيم بك أدهم وثالث ملكى ويقوم به عارف باشا ويكن باشا يراقب. ويرجع الأخيران بعد تمام عملهما إلى سويسرة للالتحاق بالركاب الخديوى، ورمزى باشا وتوفيق بك فهمى الياور يحضران إلى فينا للالتحاق بنا أيضاً.

وقد كتبت مذكرة تتضمن (١) إرسال المال لدفع المطلوبات (٣٠٠ ألف فرنك) (٢) إرسال أوامر من الباب العالى لسفير الدولة فى برن بالاستعداد للسفر مع الحاشية بصفة رسمية وبأخبار حكومة سويسرة بهذا السفر وبطلب إعطائها الأوامر فى صدد ذلك للحدود السويسرية، مع مخابرة دولتى ألمانيا والنمسا باعطاء الأوامر لسفيرهما بزيارة الخديو قبل سفره (٣) الحكومة العثمانية تتفق مع النمسا والبلغار على الترتيبات اللازمة للمرور بأرضيهما ولزيارة الأمبراطور والملك وابلاغ سموه بالترتيبات المذكورة قبل قيامه (٤) إذا كان للحكومة ملحوظات على هاتين الزيارتين فتبلغها لسموه تلغرافيا (٥) تعطى الأوامر لتسهيل سفر رمزى طاهر باشا وتوفيق بك فهمى إلى فينا مع عارف باشا لانتظار وصول الخديو إليها والالتحاق بحاشيته

(٦) طلب شفره لسموه لاستعمالها عند الحاجة مع الباب العالى كالمعتاد من قبل، وتسلم ليكن باشا لاحضارها معه للسويسرة عند رجوعه من الآستانة (٧) المخصصات الخديوية ومرتبات الحاشية والقبوكتخدائية والمحروسة تصرف من النظارة المختصة لرئاسة الديوان الخديوى عند حضور سموه لتوزيعها بمعرفته حسب الأمر. (٨) تنفيذ وعد الصدر بابعاد أحمد فؤاد قبل سفره (٩) الترتيبات التى ستعمل للمحافظة على حياته من قبل إدارة الأمن العام أثناء وجوده بالآستانة تكون بالاتحاد مع من يخصصه سموه لذلك (١٠) الاستئذان من الصدر لمقابلة رئيس التشريفات ومدير الأمن العام وقومندانية مركز الاستانه - إذا لزم - لعمل الترتيبات والاحتياطات اللازمة لحضوره واستقباله على المحطة لزيارة السلطان.

والأوامر العسكرية تقضى بأن عارف باشا يقدم لناظر الحربية خطاباً من أفندينا رداً على جوابه وفيه يعلم سموه بأنه عين رمزى طاهر باشا سرياوراً ويعرفهما ببعضهما ورمزى باشا يطلب من أنور باشا صدور الأمر للبحرية باصلاح المحروسة والزورق البخارى الكبير واحضار مايلزم لهما من الأدوات. وبأن يمد خزان وابور الكهرباء فى جبوقلى بالزيت ويصرف الأشياء اللازمة لمطبخ جبوقلى وسراى بلك حسب وعد الناظر.

ولما علم شديد بأن من ضمن الطلبات ارسال ٣٠٠ الف فرنك لدفع المطلوبات قال: إن المبلغ لا يكفى. فرد عليه سموه قائلا: لا يا شديد بك. يكفى يكفى لان البنك له ٢٠٠ الف و ٢٠ الف للمحامين و ٣٠ الف للمشتريات اللازمة لبلك وجبوقلى — ويبقى ٥٠ الفا. ففهمت من ذلك أن السلفة التى عقدها مع البنك هى مائتا ألف فقط، ولما خلوت بشديد عرفت الحقيقة وهى أن السلفة تعطى على أقساط شهرية ولهذا يقول الخديو: إنه بقى له لآخر الشهر مبلغ كذا. وعلمت أن السلفة عملت من شهرين وعلى هذا فان الذى سيدفع للبنك ليس ٢٠٠ ألف فرنك بل المبلغ الذى سحب منه فى مدة الشهرين الماضيين والشهر الآتى أى لغاية السفر.

ومما سمعته من عارف أن أنور باشا يقول: إن الخديو عندنا الآن - وفيما بعد — خديو، ومن الدين علينا له أن نقوم بمعيشته لآخر حياته وأن الآلاف الجنيه التى يطلبها سموه قليلة بالنسبة له. وإن كل ما يلزم لمطابخ بلك وجبوقلى نعطيها من الحربية بالأثمان التى نعطى بها سراى السلطان وأعضاء العائلة الملكية، يعنى بأثمان قليلة جداً فمثلا أقة السكر بثمانية قروش بدلا من مائة وعشرين قرشاً

وفى يوم ٢٧ أغسطس أرسل الخديو برقية للاستانة بعزمه على السفر، وارسال عارف باشا ويكن باشا لعمل الاستعدادات اللازمة

اختيار بعض المصريين لمرافقة الخديو بالآستانة : وفي يوم ٧ سبتمبر اجتمعت أنا وشديد بك والدكتور سيد كامل عند الخديو ، وتحادثنا في الأشخاص الذين سيستصحبهم للاستانة غير الحاشية الرسمية؛ فسردنا أسماء المصريين فى جنيف ولوزان وزوريخ ؛ ثم نظرنا فى حالة كل منهم؛ وقررنا بادىء الامر عدم أخذ الطابة، ولا الذين جاهروا بالعداوة مثل محمد فريد بك ، وتقرر أن كل واحد منا (أى شديد وسيد كامل وأنا) يبلغ بعض المنتخبين بسفر الجناب العالى ؛ وأنهم إذا أرادوا التماس سفرهم فى معيته فاننا نبلغ التماسهم . وكان في الكشف ٣٤ أسما ، فانتخب منهم ١٤ هم اسماعيل لبيب ، على الشمسى ، احمد بك فريد (ورئى تعيينه تشريفاتيا خديويا) والدكتور زاهر ، والاستاذ فهمى (وتقرر تعيينه فى جنيف لمراقبة الصحافة وما يكتب فيها بخصوص نظير راتب نرسله له) والاثنان الأولان يخبرهما شديد بك والدكتور سيد كامل ، والثلاثة الآخرون أخبرهم أنا؛ وأن أكلف الأستاذ فهمى بأن يستطلع رغبة



احمد فريد بك

كل من عثمان افندى الديب ومدكور وصفر (إذا كانوا أمضوا الامتحان) أما الشيخ عبد الحميد فانى أستفهم من البرنس ابراهيم حلمى عما إذا كان يريده عنده لغاية رجوعه إلى الآستانة فيبقى ، ويأتى معه ؛ وإلا فنأخـــذه فى المعية ؛ واستجلاب مصرى اسمه صالح يستخدمه الانجليز فى سويسرة للاستفادة من ذكائه واقتداره فى مصلحتنا بالآستانة ، وآخر اسمه نجيب ندخله فى مدرسة الطب بالاستانة ليختلط بالطلبة المصريين ويعرف نواياهم . وكذلك تقرر أن يرافقنا منصور أفندى القاضى

الذى كان يصدر جريدة النيـل بلوزان ، وهو رئيس الجمعية المصرية وجمعية الرابطة الاسلامية ؛ وقد عين رئيسا للحسابات بالخاصة (١)

عودة الخديو للاستانة : وافق رجال الحكومة التركية على جميع الترتيبات التى اقترحها الخديو للسفر ، وزادوا فى التسهيلات أن وضعوا سفير الدولة فى سويسرة تحت تصرفه لتسهيل كل ماقد يعترضه من العقبات ؛ وصرح طلعت باشا بأن للخديو أن يستصحب من يشاء (إشارة لصاحبته) وعندئذ أخذنا فى الاستعدادات النهائية فأشرت فى يوم أول اكتوبر على جوازات السفر من قنصلية الدولة وقنصلية النمسا لى وللمسافرين معنا ، وبينهم ثلاثة من السويسريين : أحدهم بوظيفة سكرتير ، والثانى مهندس معمارى ، والثالث مهندس حدائق ؛ وتقرر أن يكون السفر لزوريخ يوم ٤ اكتوبر . وفى هذا اليوم ودعت حريمى وأولادى وغادرت جنيف ظهراً

السفر : وفى يوم ٥ اكتوبر كان جميع المسافرين في محطة زوريخ . فركبنا القطار الخصوصى ، وهو مركب من عربتين للنوم وعربة متاع . وكان على المحطة للوداع دولة البرنس محمد على ، وسكرتيره ، ونجلا الخديو البرنسان عبد المنعم وعبدالقادر ، وسفير الدولة ، ومندوب من الحكومة السويسرية ، ونشأت باشا الألبانى وأخوه ثريا بك ، وعبد الله البشرى (الذى رجا الخديو أن يتأخر شهراً ليطمئن على أحوال عائلته فى مصر بعد وفاة والده) ورشيد بك أحد الأتراك ممن لهم علاقة قديمة بالخديو ، وهو من « جماعة تركيا الفتاة » وكان مدة الحرب يقيم فى جنيف وشديد بك . وركب معنا بعض المودعين إلى الحدود السويسرية . ولم يفتش متاعنا عند هذه الحدود . وفي محطة « فلدكرش » النمساوية أضيفت للقطار عربة طعام ، وتناولنا الغداء الفاخر على حساب الدولة التركية كبقية نفقاتنا فى السفر .

الوصول إلى فينا : وفى صباح يوم ٦ وصلنا إلى فينا فوجدنا في استقبالنا ضابطاً ورجلا ملكياً ، والدكتور امستر ، ورجال السفارة العثمانية بدون السفير حسين حلمى باشا ، الذي أرسل سيارته ليركب فيها الخديو ، فقصدنا فندق امبريال .

زيارة امبراطور النمسا : وبعد الاستراحة قدم السفير للزيارة ، ثم ركب مع سموه إلى قصر الامبراطور الذى يبعد عن فينا قليلا لاجابة دعوته للغداء .

---

(١) وقد بقى بالاستانة حتى الهدنة فعاد إلى السويسرة

وبعد العودة علمت أن سموه جلس على يمين الامبراطورة ، وجلس الامبراطور على يسارها ، وان الامبراطور سأله: هل تأتيه أخبار من مصر؟ فلم يقو على إجابته بأن الأخبار منقطعة بينه وبينها ، وأجاب «نعم» !

حادث مكدر : ثم غادرنا فينا فى المساء ، وما كاد القطار يبرحها حتى وقعت حادثة مكدرة ذلك أن إحدى نوافذه أصيبت بمقذوف نارى كسر زجاجها ، ولما وصل إلى مدينة صوفيا قدم سكرتير الملك ، وأبدى لسموه الأسف على غيابه عن المدينة، وكذلك استقبله سفير الدولة ورجال السفارة.

ومن بليجراد كانت قد أضيفت عربة حربية بها ضابط ألمانى ، وقوة معه بالاستعدادات التامة للمحافظة على القطار .

وفى يوم ٨ وصلنا الى لولى بوغاز، فوجدنا مفتش الحدود العثمانية واصف بك وزميله فى انتظارنا، لمرافقتنا الى الأستانة . وركبا هما واثنان من الجند معنا .

الوصول إلى الآستانة : وكان القطار قد تأخر عن ميعاده فى بلاد البلقان نظرا لسقوط قاطرة على الخط فانتظرنا ساعتين حتى أخلى الطريق؛ ولكن عوض المسافة في بلاد البلغار وجزء في أراضى الدولة بحيث بلغنا الأستانة فى الميعاد المضروب وهو الساعة الثانية بعد الظهر ؛ وقد كان فى بعض المحطات الكبيرة بضعة عساكر لتأدية السلام .

وكان فى انتظارنا على محطة سركه جى رئيس المرافقين ، والأمين الاول لجلالة السلطان ، ومستشار الصدر بالنيابة عن الصدر، ومستشار الحربية بالنيابة عن أنور باشا ، ومدحت شكرى كاتم أسرار جمعية الاتحاد والترقى بالنيابة عنها، وفصيلة من الجند ومعها الموسيقى التى عزفت عند وصولنا، ثم ضباط المحروسة وعلى رأسهم الميرالاى ابرهيم أدهم بك، وانضم اليهم توفيق بك القائم مقام المرافق الذى كان قد حضر الى فينا مع السرياور رمزى طاهر باشا ، وفصيلة من بحرية المحروسة، ثم بعض المحبين ، ومن بينهم عزت باشا زوج فائقه هانم افندى .

ونزل الخديو من القطار ، فسلم على المندوبين أولا ؛ ثم استعرض فصيلة المعسكر الشاهانية ، وأثنى على قائدها؛ ثم سلم على باقى الحاضرين في المحطة الا عزت باشا فانه أشار اليه بيده من بعيد، فتأثر، ولما رآنى شكا لى من هذه المعاملة، وقال: انه لا يعلم السبب لهذا الأغضاء.

مقابلة السلطان : ثم ركب الخديو سيارته ومعه مندوبو السلطان ورمزى طاهر باشا ؛ وركبت أنا وعارف ويكن فى سيارة أخرى تابعة للحربية ؛ وتوجهنا إلى سراى يلدز ، وقابل السلطان محمد رشاد(١) منفرداً ؛ ثم رجعنا إلى بيك بدون المندوبين .

الخديو يستخف بجلالته : ولما عاد الخديو أبدى لنا استخفافه بالسلطان الذى حادثه فى تغيير « بوابة » سراى ضولمه باغجه .

وكذلك علم من جلالته أن امبراطور ألمانيا طلب أن يرى السلطان عبدالحميد ؛ فبهذه المناسبة قال : « إنه يحب شقيقه وإنه يراعيه ولا يريد ضرره» فقال الخديو : « كان كلامه مثل الصغير الذى يحس بذنب، فيبتدىء بتبرئة ساحته قبل أن يسأل عنه ! »

ومما دار الحديث فيه مسألة ثورة الشريف حسين في مكة ؛ ولما أراد الخديو أن يقول : « ربما كان للشريف عذر» نفى السلطان ذلك بشدة .

زيارة الصدر للخديو : وفى يوم ٩ منه زار الخديو الصدر فى منزله ، فأخبره بأن امبراطور ألمانيا سيحضر لزيارة السلطان ، وأن سموه سيدعى للمأدبة التى ستقام لجلالته ، ولمح بأن سيكون من بين المدعوين البرنس سعيد حليم ، وسأل سموه عما إذا كان سيخاطب البرنس؟ فأجابه بأنه لا يود الحديث فى الشخصيات ، وأظهر عدم استعداده لمخاطبته قائلا : « إن المائدة كبيرة فليس هناك ما يدعو للتقرب » .

وروى لى سموه أيضا أن الصدر قال له :إن وجوده الآن فى الاستانة معهم سيفيد الحكومة العثمانية من خبرته ومعلوماته ، فأجابه بأنه مستعد لأية خدمة عامة وإنما لا يحب أن يتدخل فى مسائل شخصية

قال الخديو : «ولو ضممنا ماقاله السلطان عن الشريف ، وماقاله الصدر تبين ان الاتراك سيطلبون منى أن أساعدهم فى المسألة العربية ، وقد رأيت من الصدر صراحة عجيبة »

زيارة ولى العهد : وبعد الظهر زار الخديو الأمير وحيد الدين ولى عهد السلطنة العثمانية

وفى يوم ١٠ زار شيخ الاسلام فى مركز المشيخة ، وبعد الظهر زار الأمير

---

(١) صور ج ٢ ق ٢ ص ١٨٣



الأمير وحيد الدين

عبد المجيد في جاملجة ؛ وهو الأمير الذى يأتى بعد ولى العهد وبينه وبين الخديو مودة خصوصية

الحفاوة بالخديو : وقد لاحظت من يوم حضورنا إلى الاستانة أن المحبين هرعوا إلى بيك للسلام ؛ وفي هذا اليوم حضر الصدر ورد الزيارة لسموه ؛ وفى أثناء الحديث عرضت مسائل شخصية ، فتنحى الصدر عن الدخول فى الموضوع بناء على ما رآه من رغبة الخديو وكان سموه يريد أن يوفدنى له كانى ذاهب من تلقاء نفسى لزيارة خصوصية ولأعلمه بارتياحه لما رآه من الحفاوة ، وأضيف إلى ذلك تحذير الصدر من الدخول في مسائل سموه الشخصية ، ولكن بعد زيارة اليوم والحديث الذى حصل كلفنى أن أبلغه بأنه يقدر سياسته التى يلتزم فيها اجتناب الحديث فى المسائل الشخصية حق قدرها ، وروى لى أنه عرف من الصدر رغبته في ارجاع الاتراك المخالفين للاتحاديين إلى الأستانة بأية وسيلة كانت ، والغرض من ذلك ألا يسمع لهم صوت معارض عند المناقشة في الصلح ، ولهذا لما كلمه سموه فى دخول نشأت باشا الأستانة : قال « إنه لا يرى مانعا من ذلك » وحضر أنور باشا وشيخ الأسلام للزيارة

أسف الأمبراطور على الحادث المكدر : وفى هذا اليوم ورد من سفير النمسا خطاب يقول فيه بورود برقية من سكرتير امبراطور النمسا يعرب فيها عن أسف جلالته والملكة لحادث كسر الشباك بديوان سموه في القطار المخصوص ، وأنه تحقق بأن ولدين صغيرين كانا يقذفان الحجارة على القطار عمرهما ٧ و٨ سنوات .

وقد أرسلنى سموه الى سفير النمسا لأعرب له عن شكره لاهتمام الأمبراطور والأمبراطورة بارسال البرقية ، وأن أرجو رفع هذا الشكر لجلالتهما ؛ ثم لمحت فى كلامى الى انتظار الخديو لزيارة التراجمة حتى يحضر هو ويؤدى الزيارة للسفراء

فأفهمنى أن الحكومة العثمانية أظهرت رغبتها فى عدم استخدام التراجمة فى الأعمال الرسمية ، لأنها عادة قديمة كانت متبعة عند وجود الامتيازات ، فألغيت بألغائها. وقد حضر ناظر الخارجية فى بيك ، فكلمه عارف باشا فيما يلزم اجراؤه ، فقال : «انه سيخاطب سفير النمسا وهو أقدم السفراء ويفيدنا بما يتقرر .

عباس وامبراطور ألمانيا بالاستانة : فى يوم ١٤ أكتوبر وردت مكاتبة من الصدارة بها دعوة للجناب الخديوى للحضور الى محطة سركة جى يوم ١٥ منه فى الساعة الحادية عشرة ليكون مع جلالة السلطان فى استقبال امبراطور ألمانيا ؛ وفى هذا اليوم أخذ سموه معه رمزى باشا طاهر وتوفيق بك فهمى الى المحطة ، وكانوا جميعاً يرتدون كساوى التشريفات الكبرى ، وكان الترتيب كما يأتى : السلطان وولى العهد وباقى الأمراء، وبعدهم الصدر، ثم الخديو، ثم شيخ الاسلام والوزراء .

وقد لاحظ سموه فى تأثر أن يكون ترتيبه بعد الأمراء ، فكأنهم رجعوا إلى ترتيب صدارة سعيد باشا الاخير الذى كان يصمم على أن يكون ترتيبه قبل سموه وتساءل عما إذا كان هذا قد حدث عفوا؛ ولكنه استدرك بأن الصدر أخذ موقفه بشكل يدل على أنه يعرف هذا الترتيب من قبل . فقلت : « لعله عمل ذلك ليرى الامبراطور أن مقامه أعلى من مقام الخديو » فقال عارف : « ومن جهة أخرى يفهمونه أن مسألة مصر داخلية » وشاركه الخديو فى الرأى . ثم قال :

« ولما سلم الامبراطور على من كان قبلى سلم على وحادثنى بالألمانية قائلا : « لقد مرت مدة طويلة لم نتقابل فيها ، وابيض شعر رأسينا .فأجبته : « إننى وإن كنت لم أحظ بمشاهدة جلالتكم فأننى رأيت أولادكم عندى فى مصر » فقال : « أنا آسف لما فاتنى من زيارتها، وأولادى كان حظهم أوفر برؤيتها » . يعنى أن الامبراطور عنى به أكثر من الآخرين .

وقد جمعنى سموه مع عارف وقال : « إن الأتراك لم يعلمونى هل المطلوب منى زيارة الامبراطور ؟ مع أن ذلك من الواجب على ؛ ثم يلزم أن أعرف من الآن موقفى فى المأدبة التى ستقام »

وتقرر ذهاب عارف باشا إلى دائرة التشريفات للاستعلام ، بينما الخديو ونور الدين يمران على سفارة العجم، وعلى بعض النظار الذين حضروا للزيارة، لترك بطاقات لهم .

وكان ردّ التشريفات : انه حددت الساعة السادسة إلا ربعاً لزيارة الخديو للأمبراطور ، فتعجبنا لأهمال التشريفات إلى هذا الحد؛ فلو لم نسأل ما ذهب الخديو ، وعد ذلك منه تقصيرا .

أما ما يختص بترتيب سموه فأخبرنا أن أمين السلطان وممدوح بك التشريفاتى وواحداً من الحربية سيجتمعون فى السراى للاتفاق على هذه المراسم ، فتقرر مقابلة ممدوح بك ولفت نظره إلى ترتيب الخديو على المائدة ، ولفت نظر الصدر كذلك ولمعرفة ما تقرر .

وقد ذهب عارف إلى سفارة العجم فقابل الخديو وأخبره بما عمله ، ثم عادا فلبس كسوته العسكرية حسب أمر التشريفات ، وذهب مع توفيق بك إلى يلديز فى الميعادالمحدد ، فوجدالصدر والوكلاء يلبسون « الردنجوت » فقال له الخديو :« إننى لم أكن أعلم بالزيارة إلا بعد ان أرسلت للتشريفات مستفهما ؛ وهاهم أولاء قد ألبسونى الكسوة العسكرية ، وأنتم جميعا بالردنجوت ، مع أننى كنت قبلها لابساً مثلكم ! »فأجابه طلعت : « ولكنك عسكرى »

وكان الترتيب : أن يبتدىء ولى العهد بالزيارة ، ثم الخديو ، ثم النظار ، وبين كل زيارة وأخرى ربع ساعة . فلما خرج ولى العهد نودى على الخديو فدخل . ومكث مع الأمبراطور عشرين دقيقة ، ولولا أن الضابط نبه جلالته إلى فوات الوقت لاستمر فى محادثته

رأى الامبراطور فى الانجليز والاتراك : وقد انحى الأمبراطور إنحاء شديداً على الانجليز ، وانتقد الملك انتقاداً مرآ ، واعتبره عديم القيمة . قال : «وإننى عالم بما نالك أنت منهم » ثم أضاف : « وماذا تقول فى صاحبك الذى ذهب مع همشير (اسم الوابور الحربى) ـ وأشار بأصبعه ـ فى مقر البحار ؟ فذهب كتشنر حيث لا يرجع» ثم قال : ــ أى الأمبراطور ــ «إنه محب للاسلام ، وأنه من تاريخ زيارته الأولى عزم على مساعدته ، والمسلمون عندهم القرآن ، وهو قانون عظيم جداً لو اتبعوا مافيه لأفلحوا . ولكن بكل أسف أرى أنهم يهملون قواعده ، فكيف يترك الأتراك أراضيهم بدون زرع ؟ أما أنت فاننى أعرف بأنك مزارع كبير واشتغلت كثيرا بالفلاحة» فأجابه الخديو نعم « أنا فلاح » قال : «ويلزم أن يشكل الأتراك إدارة

طيبة ، فيقيموا العدل فى المحاكم ، ويستغلوا أراضيهم ، وينظموا ماليتهم ، ويخلعوا عنهم رداء الكسل حتى تتوفر الثقة الأوربية بهم .

قال الخديو : « ومن ذلك علمت أن زيارة الأمبراطور ليست زيارة ودية ، بل زيارة عمل، وأساسها الكلام مع الاتراك فى مسألة إلغاء الامتيازات، فكأنه سيقول لهم : «إنكم تطلبون هذا الالغاء ، ولكن ماذافعلتم لاجتذاب ثقة أوروبة نحوكم ؟ » ثم يفهمهم أن المانيا ضمنتهم فى مبالغ كثيرة فماذا صنعوا لتحسين ماليتهم حتى يمكنهم فيما بعد سداد الاقساط ؟ »

أما أنا فاعتقدت أن الغاية من هذه الزيارة هى التدخل فى شئون الدولة الداخلية بحجة الاصلاح ، وتعيين ألمانيين فى الادارات .

وقال الخديو : « إنه وجد الامبراطور موفور الصحة ، ولا يظهر عليه التعب ولا القلق، بخلاف امبراطور النمسا الذى هو شاب لطيف الخلقة ، إلا أنه يظهر عليه الاجهاد »

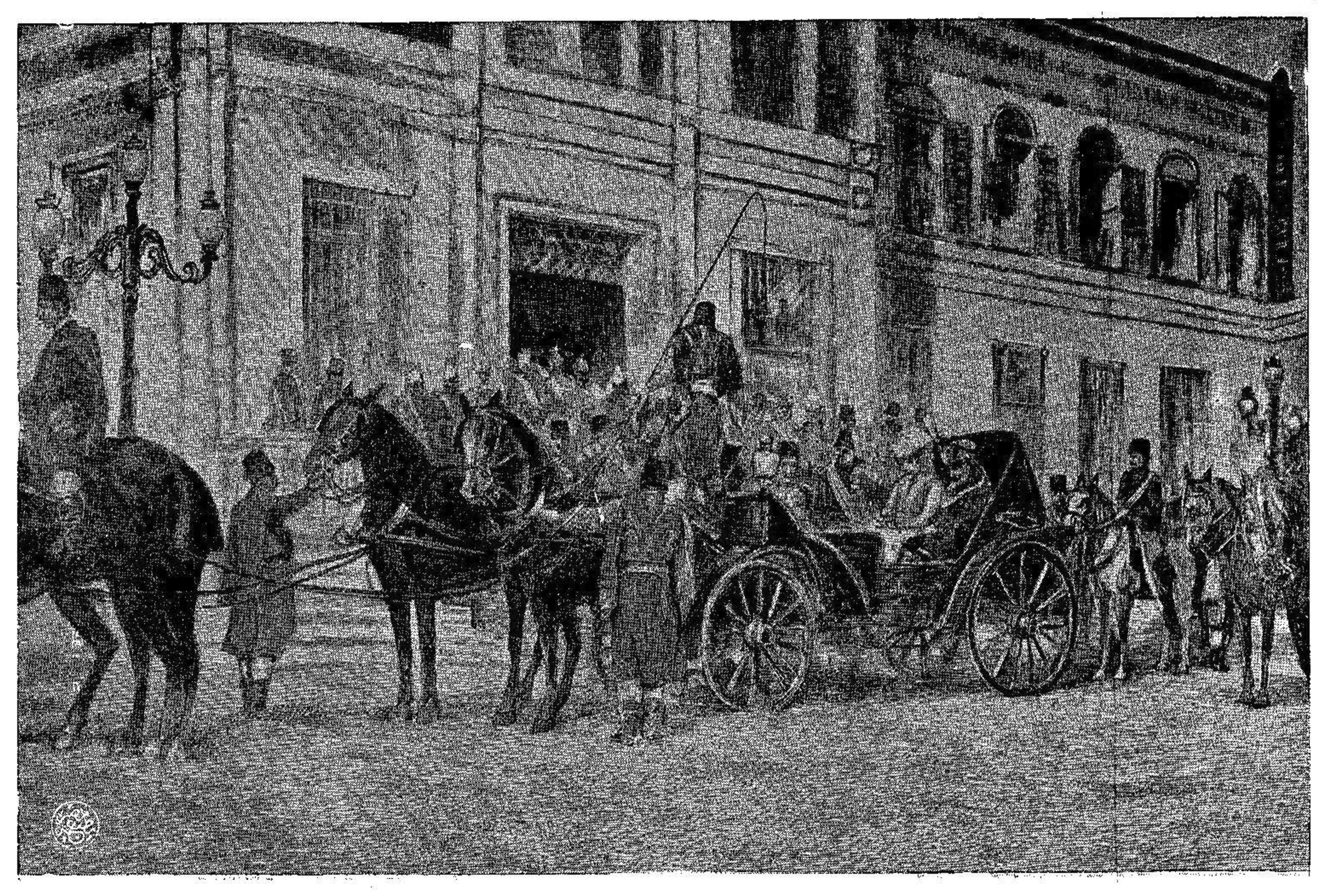
وقد سأل عارف عما اذا كان الأمبراطور قال شيئا بخصوص الحرب ، أو انه قال على العموم : « إن النصر فى جانبه » فأجاب سموه بأن الأمبراطور لم يفاتحه فى مسألة مصر على الاطلاق . وذلك طبعا لأن الاتراك أفهموه أنها مسألة داخلية ولكن الحقيقة أنها مسألة دولية .

ومن المحتمل أن سموه لمح لجلالته بأنه اعتماداً على ما أظهره طلعت باشا من حسن السياسة معه قبل الرجوع للاستانة ؛ ولكنه لم يصرح لنا تماما بذلك بل لمح تلميحاً خفيفاً .

قلت: « ياحبذا لو دعا الإمبراطور افندينا لزيارته، ورافقه فى الجهات العسكرية فانه يتمكن من الكلام الطويل معه في مسائلنا » فقال: « نعم يكون حسنا »

وفى يوم ١٧ منه ذهب عارف وبكير إلى التشريفات للاستفهام عن مكان سمو الخديو فى المأدبة الرسمية التى ستقام فى السراى للامبراطور . ولما حضرا علمنا أن السلطان سيجلس فى الصدر، وعلى يمينه الامبراطور، وأمامهما ولى العهد ومجيد افندى وعلى يمين الامبراطور حقى باشا سفير الدولة فى برلين ، ومن بعده ناظر خارجية المانيا ، وبجانبه سمو الخديو . وفى المساء وردت دعوة رسمية لحضور المأدبة

عباس يشكو من معاملة ناظر الخارجية الالمانية : وقد سافر الامبراطور مساء



امبراطور المانيا خارجا من سراي يلدز

يوم ١٨ منه وكان الخديو بين المودعين لجلالته على المحطة ، ولما عاد من وداعه وجدته ممتعضاً من ناظر خارجية المانيا لأنه لم يتحادث معه فى شأن ما من الشئون السياسية ، مع كثرة التقارير التى أرسلها له بواسطة موسيو پادل ، وموسيو لندمان (تاجر الأقطان بمصر) والبارون رشتهوفن

ولكنه كان مسرورا من حفاوة الامبراطور به لأنه عند الانصراف من المائدة تحادث معه فى أنه مضى وقت طويل ولم يتقابلا ، وختم كلامه معه بقوله : « ولا تطول مدة البعاد كما سبق »

ولكن هذه الحالة من ناظر الخارجية الالمانية جعلت الخديو يتخوف من أن يكون هناك اتفاق بين الاتراك والالمان على هضم الامتيازات المصرية بعد الحرب

مرتبات المصريين : كان من ضمن الاتفاقات بيننا وبين الصدر وأنور قبل عودة الخديو أن تصرف الدولة مرتبات المصريين الذين يرافقون الخديو ، وقد كلفنى وضع ميزانية بهذه المرتبات ، وكذلك وضعنا ميزانية للمخصصات الخديوية والجبوقلى والمحروسة .

وفى يوم ٢١ اكتوبر قابلت أنور باشا ، وطلبت منه أن يأمر بارسال جميع المخصصات والمرتبات إلى البنك الذى يختاره ، ليتولى الديوان الخديوى توزيعها بمعرفته وسألته عن الاجراءات الواجب اتباعها ، وهل ترسل الكشوف للصدارة أو للحربية مباشرة ؟

فقال : « أما المخصصات فأمرها معلوم ، والمرتبات التى كانت تصرف من قبل سيستمر صرفها . وأما مرتبات من حضر مع الجناب الخديوى فترسل ونحن نأمر بصرف الجميع » فشكرته وخرجت .

وقد أمر الخديو أن أعطى أنا وظيفة ناظر الديوان الخديوى ، وعارف رئيس الديوان التركى ، ويكن باشا رئيس التشريفات[1] وقرر مرتبا لكل منا قدره ١٧٥ جنيها تركيا ، وكان قد عزم على جعله ١٤٢ جنيها فقط ؛ فأبنت له أن هذا المبلغ لا يكفى وأنه يحسن أن يكون ١٥٠ جنيها فرفعه هو إلى ١٧٥ جنيها وساوى بالرئيسين الآخرين وقد بلغت الزيادة فى المرتبات الجديدة ٢٣٥ جنيها تركيا ؛ لأن مرتباتنا نحن وآن كانت قد قطعت عند وجودنا بالسويسرة إلا أنها كانت محسوبة ضمن المرتبات القديمة . وقد رفعت لسمو الخديو الثبت الآتى :

(١) وكان قد عاد للاتصال بالخديو بعد ماعلمه القارىء سنة ١٩١٦

الديوان الخديوى مقارنة بين المبالغ التى تقررت الآن والمبالغ التى كانت تصرف

	الآن		قبلا	
	قرش	جنيه	قرش	جنيه
أحمد شفيق	٠٠	١٧٥	٠٠	٠٠
عارف باشا	٠٠	١٧٥	٤٥	١٤٢
يكن باشا	٠٠	١٧٥	٠٠	٠٠
رمزى باشا	٠٠	١٧٥	٤٥	١٤٢
ابراهيم أدهم بك	٧٦	٥٨	٧٦	٥٨
توفيق بك	١٩	٥١	١٩	٥١
الحاج محمد افندى	١٠	١٦	١٠	١٦
احمد فريد بك	٠٠	٦٥	٠٠	٠٠
منصور افندى القاضى	٠٠	٤٠	٠٠	٠٠
مأمون نجيب	٠٠	٢٠	٠٠	٠٠
ميشيل دهان	٠٠	٢٠	٠٠	٠٠
نور الدين افندى	٠٠	٤٠	٠٠	٠٠
احسان افندى	٠٠	٠٠	٧٨	٢٢
المجموع	٠٥	٦١١	٧٣	٢٣٣
ما كان يصرف قبلا	٧٣	٢٣٣		
الزيادة	٣٢	٣٧٧		
تنزيل نقص فى القبوكتخدائية	٥٠	١٤١		
الزيادة الحقيقية	٨٢	٢٣٥	فى الشهر	

القبوكتخدائية	الآن	قبلا
جلال الدين باشا	٠٠	١٥٠
عبد العزيز افندى	٠٠	٢٠
عبد السلام افندى	٢٠	٦½
وصفى افندى	١٤	١٤
عمر عادل افندى	١٥	٠٠
	٤٩	١٩٠½

	قرش	جنيه
مجموع ما كان يصرف	٥٠	١٩٠
الذى سيصرف الآن	٠٠	٤٩
النقص	٥٠	١٤١

وذكرت في نهايته ملاحظة وهي « إن استصوب أفندينا يقال في الجواب : إن هذا الثبت يحتوى أسماء المأمورين في الديوان الخديوى وفى القبوكتخدائية (الأن) حتى يكون الباب مفتوحا لتعيين طبيب أو خلافه، وقد أضيف فيما بعد اسم الدكتور امستر السكرتير بمرتب ٧٥ جنيهاً

إهداء نياشين من الخديو : رغب الخـــديو في أن يستخدم حقه في إعطاء النياشين إظهاراً لسلطته بين المصريين ولدى الأتراك كذلك بعد أن عاد إلى الاستانة متمتعاً بجميع حقوقه ؛ وقد طلب منى أن أكتب إلى الصدارة بطلب بعض النياشين طبقاً للامتيازات الخديوية ، فلاحظ عارف باشا أنه ربما اعترضت الحكومة على ذلك، وطلبت معرفة أسماء من سيمنحون هذه النيشانات ، فأجاب : هـذه ليست للأجانب بل نقول : إننا سنوزعها على رجال المعية . وحرر الطلب فعلا ومعه ثبت بعدد النياشين من كل نوع .

وقد ورد الرد بالموافقة ومعه النياشين فوزعها سموه كالآتى

البرنس عبد المنعم	:	المجيدى الأول
عارف باشا رئيس الديوان التركى	:	العثمانى الثانى
رمزى باشا طاهر السرياور	:	المجيدى الثانى
عبد الحميد بك شديد	:	« «
ابراهيم بك أدهم ميرالاى	:	العثمانى الثالث
توفيق فهمى بك قائمقام	:	المجيدى «
احمد نور الدين افندى معـاون	:	العثمانى «
حسين وصفى كاتب بالقبوكتخدائية	:	المجيدى الرابع
الحاج محمد افندى ضابط أركان حرب	:	العثمانى «
منصور افندى القاضى	:	المجيدى «
الدكتور سيد كامل	:	« «
إسلام قبودان	:	المجيدى الخامس

كيف تلقى الخديو خبر وفاة السلطان حسين وتولية السلطان فؤاد : فى يوم ١٢ اكتوبر وردت لنا الأخبار بوفاة السلطان حسين كامل ، وتعيين السلطان فؤاد ، فقال الخديو : « أنا مسرور بما حدث . أولا لأن أولادى يعرفون الآن أن انجلترا لا تعاضدهم ولا تفكرفيهم ، وثانياً لأن البرنس فؤاد غيرمحبوب من المصريين لأنهم يعلمون ميله للأيطاليين » ثم استطرد في أحاديث من هذا القبيل .

وقد وردت من شديد برقية بأن الذى خلف السلطان حسيناً هو نجله البرنس كمال الدين . وذلك أنه عرض عليه العرش فرفضه ، ولهذا عين البرنس فؤاد .

بينى وبين عباس : كان اسماعيل حق باشا « مدير اللوازم » في نظارة الحربية قد وعد بشراء احراج (الجفلك) الجديد الذى يملكه الخديو بمقدار مائتى ألف جنيه ، فسر بهذه الصفقة ، ولكن المدير عاد فرأى أن الحرج لا يساوى هذا المبلغ وعرض مائة ألف فقط ، فغضب الخديو لذلك . وفى أثناء مناقشات فى الموضوع يوم ٢٢ اكتوبر أبديت رأيى بأنه إذا حصلنا على مبلغ ١٥٠ ألف جنيه فاننا نقبل خصوصاً وأن اسماعيل حق صرح بأن هذه الأحراج ستباع للفقراء بالاستانة بأثمان رخيصة ؛ واقترح أن ينوه بأن ذلك بناء على رغبة الخديو لينال من الشعب الرضاء والدعاء ؛ وعندئذ ثار الخديو وفاه بكلام عددته جارحاً لى لأن فحواه أننا نفرط فى ماله ، ولكن ما يخصنا نحن نتشدد فيه . وقد تألمت لهذا الكلام لأنه دليل على أنه يعتقد أننا نخدمه لأجل النقود وليس لاخلاصنا له ؛ وفهمت أنه سيستمر على جرح إحساسى كما كان فى سويسرة ، وأنا مراراً كنت أنوى الانفصال عنه ، ولكنى كنت بعد التدبر أعود فأقول : « إنه معذور لما هو فيه من الضيق المالى » فأصبر على قوله في بعض الأوقات : « كل ساعة يلزمنا طبيخ يلزمنا فلوس ، أنا أصرف عليهم بدون ثمرة ! لماذا أعطيهم نقوداً هل أنا مجبر على ذلك ؟ » وهكذا من الكلام المؤلم للنفوس .

ولكن بعد رجوعه إلى الاستانة وبعد أن صارت معيشته مضمونة ، والحكومة العثمانية هى التى تصرف مرتبات حاشيته فلا يصح أن يجرح إحساس الصغير قبل الكبير . فبعد أن ترددت دقيقة فيما أفعله دفعنى إحساسى إلى القيام من حضرته بدون استئذان ، وبحالة غضب أمام ماهر افندى المحامى وابراهيم بك أدهم ، ونزلت إلى غرفتى ، فأخذت القلم وأصابعى ترتجف ، وكتبت ورقة طلبت فيها منه إقالتى

ورجوته أن يقبلها ومما دونته فيها « إننى ماأبديت رأيى فى مسألة الحرج إلا حفظاً لشرف سموه ومنفعته الشخصية، وما كنت أتوقع أن يعنفنى أمام رجل غريب ، لهذا أرفع استقالتى وأرجو قبولها » ودعوت له فى ختامها بالتوفيق فى جميع أعماله .

ولم أذهب لتناول الطعام فى الغداء بحجة الصداع ، ولا لتشييعه للزورق البخارى عند مبارحته لبيك ، وقد حضر لمقابلتى مظهر بك فكنت أكلمه بصعوبة حتى كان ينقطع الكلام مدة ، فى خلالها أفكر فيما حصل ، فيشق على الأمر ، وأقول بنفسى : «ماهذه المعاملة بعد أن خدمته الخدمة الصادقة ، فهلا يحترم سنى ، وهلا يقدر إخلاصى؟ »

أما عريضة الاستقالة فبعد أن كتبتها سلمتها للحاج محمد افندى أحد الضباط لتوصيلها إلى ابراهيم بك أدهم ، وكتبت له كلمة أقول فيها : « إنه بالنظر للاهانة التى رأيتها أمامه من أفندينا فأنى رفعت استقالتى فى العريضة التى أرسلها مع الحاج محمد افندى » ورجوته أن يقدمها .

وقد أدرك يكن باشا كدرى، فألح على أن أعرفه بما جرى ، فأخبرته بأنى سمعت ماأكره من أفندينا لأجل إبداء رأيى في مبيع الحرج، ولم أعلمه بالتفصيلات ، ولا بالاستقالة .

ويوم ٢٣ قابلت يكن باشا مساء وكان قد حضر إلى بيك من جبوقلى بناء على استدعاء الخديو له ، فأخبرنى أنه رافقه فى زيارة القصر ومحلات الكهرباء والمطبخ وغير ذلك ؛ وفى أثنائها كلمه في مسألتى ، وادعى أننى أردت أن أؤثر عليه فى زيادة المرتبات ، قال يكن : « ولكنى قلت له : إن الباشا لعلمه بأحوال المعيشة رغب فى عرضها على الأعتاب، ولا أظن أنه أراد إجبار أفندينا على شىء» فقال: « إنما لما سألنى شفيق عن مرتبه ، وأجبته بأنه مثل باقى الرؤساء لم يقل شيئاً فوضع الرقم أمام اسمه بدون ملاحظة منه » وتكلم كثيراً حول نقطة واحدة أنه لايقبل أن يؤثر عليه شخص ما؛ ثم قال : « وأنا بقولى لشفيق: إننى فى الوقت الحاضر لايمكننى أن أفرط فى مبلغ ٥٠ ألف جنيه من ثمن الحرج، وقولى : هل تتنازلون أنتم عن جزء من مرتباتكم؟ لاأقصد إهانة ، بل أريد أن أقول : إن الوقت لايسمح بذلك »

قال «يكن : وعرفنى سموه برفع استقالتك ولكن يا باشا كيف تتركنا ؟» قلت له : «إن الخديو تعود أن يقول عنا : أننا أشخاص لايهمنا إلا الطعام او النقود، وكنت

أسمع ذلك في سويسرة وأتكدر منه كثيراً ، وهممت أن أرفع استقالتي جملة مرات، إنما كنت أرجع لأنني أقول في نفسي: إنه في ضيق وفي بلاد أجنبية وخالي اليد وأعصابه متهيجة سواء من خلو يده أو من الأحوال السياسية ، ولكن الآن رجع إلى مركزه واطمأن على معيشته وعلى منصبه الرسمي ، فلا يصح أن يكرر ما كان يقوله . ولا يليق به أن يلقي الكلام بدون حساب . وسموه مخطىء إذا كان يظن أننا نخدمه لأجل المال ، فهو تحت أقدامي ، ولو كنت ممن يعبدون المال لكانت ثروتي كبيرة، ولكني مخلص ومحاط بمخلصين،فأنت الذي تنفق على عائلتك في الشهر ثلثمائة جنيه أظنك ماجئت طامعاً في المرتب الذي قرره لك ، ولهذا لا أطيق الآن وهو في مركزه القوي أن يمس إحساساتنا بكلام جارح، وإذا كنت أضحي بمركزي صوناً لشعوري فأنني في الوقت نفسه أدافع عن أشخاصكم أنتم ،وإنني بصفتي رئيساً يجب على أن أفعل ذلك، وإلا فلوتركت هذه الفرصة دون أن أعرف الخديو بأننا لسنا عبيداً بل أناساً يحافظون على كرامتهم، فماذا كنتم تفعلون أنتم ؟ فالذي فعلته هو درس لسموه ليعاملنا المعاملة الطيبة، ويترك عادة التقريع والتكدير بدون حق وخصوصاً أمام أشخاص ليسوا منا » فلما سمع مني يكن باشا كل ذلك قال :« ياباشا لك كل الحق ، ثم رجاني أن لا أروى عنه شيئاً بخصوص هذه المسألة، لأنه لم يكلف من قبل الخديو بأمر ما، وإنما رغب فقط أن يعلمني سراً بما حصل من الحديث .

وفي ٢٤ منه جاءني رمزي طاهر باشا وعارف باشا وقالا :«إن أفندينا أخبرهما باستقالتي ، وطلبا مني أن أستردها لأنه يقول إن مبدأه ألايرفض استقالة من يطلبها . فلهذا حضرا للرجاء بأن أكلفهما استرداد الاستقالة من الجناب العالي فأجبتهما بأن هذا لايكون،لأنني أكون قد اعترفت بخطأ مني ، مع أنني أنا المجروح وأنا المهان .

فقال رمزي طاهر: « إن الكلام الذي حصل من أفندينا ليس فيه مايدعو لتشبثك» فقلت وأنا غاضب مما سمعته :« إذا كنت ياباشا لاتعتبر هذا الكلام جارحا فلا يليق أن تكون رئيساً؛ وأنا كنت أقبل هذا الكلام لو كان قد حصل بيني وبينه أو بوجود أحد أقراني ، ولكن أمام أجنبي لا أقبله » فرد على قائلا: « إن أفندينا لايعتبر ماهر افندي أجنبيا. قلت :« ولكن أنا لا أعتبره كعارف باشا ورمزي باشا » فقالا: « إنه

لايليق أن تترك سموه وهو خارج بلاده ولو كنا فى بلدنا لتغير الموقف، فأجبتهما بأنى ما كنت أفعل ذلك لو كان سموه فى سويسرة ؛ ولكن الآن وهو فى بر السلامة محاط بعائلته وحاشيته، ومقيم فى بيته، ومعترف بخديويته من الحكومة العثمانية ومطمئن على معيشته، لا مانع من استقالتى من خدمته.

قال عارف: «وما الذى يقوله الناس ورجال الحكومة؟» أجبته: اننى اتفق مع أفندينا على أن تكون استقالتى مبنية على أننى ذاهب إلى السويسرة قياماً بواجبى الوطنى للمدافعة عن حقوق مصر. قال: «ولكن سموه لا يكتم الحقيقة». قلت: «هو حينئذ وشأنه. وإننى لا أريد أن أسمع من أفندينا أننى أعبد الدرهم، ولو كنت كذلك لأحرزت ثروة كبيرة مدة وجودى في المناصب العالية، أو لعملت على تنفيذ الوعود التى كانت تعطى لى بتولى إحدى النظارات قبل الحرب ولأخذ أموال طائلة؛ فليفهم أفندينا أننا نحن قبلنا العمل لا لأخذ المرتبات بل لأخلاصنا له وللسير معه على مبادئنا»

ولما كثر الألحاح وقال عارف باشا: «إن الظاهر على وجه أفندينا الأسف» قلت: «حينئذ أرفع لأعتابه بأننى علمت بأسفه، ولهذا أسترجع استقالتى» قال: «إنه لايقصد ذلك» قلت: «حينئذ أكتب العريضة بأننى علمت أن أفندينا ما كان يقصد اهانتى» قال: «هو لم يكلفنا أن نقول ذلك» قلت: «وأنا لا يمكننى أن أكلفكما رد استقالتى بدون سبب»

وقد قال عارف باشا: «إن أفندينا تأثر من استقالتك وهذا يكفى» يعنى ان الذى حصل يكفى ليعلم مقدار كدرى (أى أنه لا يفعل ذلك مرة أخرى)

وفي هذا اليوم حضر يكن باشا وقال: «إن افندينا قال له: إن عارف باشا ورمزى طاهر باشا لم يتمكنا من اقناعى فاذهب أنت لأقناعه»

فقال: «أنا وشفيق نعرف كيف نتفاهم» ولهذا حضر الى فرويت له ماحصل من المناقشة بينى وبين الرئيسين واخذت عليهما أنهما لم ينتهزا فرصة فتحى لهما الباب لولوجه وانتهاء المسألة فأنى لكونى علمت منك ان افندينا قال لك: إنه لايقصد اهانتى، اردت أن يقولا لى ذلك حين استفهمت منهما عما إذا كان سموه يقصد تعنيفى؟ فلم يفهما غرضى ولم يجاوبانى، ولو اجابا لانتهت المسألة.

قال يكن: «امس قلت: اننى سمعت هذا الكلام من افندينا ولكنى ما كنت

مكلفاً أن أبلغه ؛ أما الآن ففي وسعي أن أكرر لك في ذلك »قلت : «حينئذ أكتب لأفندينا أقول أنني سمعت منك ذلك ولهذا أسترد استقالتي » قال : وهو كذلك ، ووعدته بارسال الجواب غداً ، وقد أعلمتني هذه الحادثة مكانتي عند جميع من بالسراي حيث حضروا من أغوات وموظفين للسؤال عني ظناً منهم أنني مريض حتى أن الوالدة أرسلت فسألت عني كذلك ؛ ولم أخبر أحداً بالواقع إلا الماس آغا في المساء فلما علم بالتفصيلات وافقني على ما فعلت وقال : « الى متى هذه المعاملة السيئة ؟ » .

وفي ٢٥ منه حررت العريضة الآتية وأرسلتها مع عارف باشا :

« سيدي ومولاي :

جاءني حضرات الرؤساء أمس فعلمت من صاحب السعادة يكن باشا أن الجناب العالي ما كان يقصد تعنيفي ولا تكديري ، مما استوجب رفع استقالتي ، فاطمأن قلبي وهدأ روعي — ولهذا أستردها راجيا أن يتحقق مولاي بأن إخلاصي لعرشه ولذاته الكريمة لا يقدر بمال والله المسؤول أن يوفقني لخدمة جنابه الفخيم وإرضائه » .

وقد أفهمني عارف باشا أن مسألتي انتهت فقلت : نعم ، وكان يمكنكم أن تنهوها أمس ، فانني فتحت لكم بابا لكنكم ما ولجتموه عند ما سألتكم عما اذا كان الخديو أراد من كلامه إهانتي أولا ؟ فلو كنتم أجبتموني بالنفي لانتهى الأمر ؛ ولما علمت من يكن باشا أن الواقع هو هذا قبلت سحب استقالتي .

وقد عرفت اليوم من ابراهيم بك أدهم أن رمزي طاهر باشا قال له أمس : انه لم يرني منفعلا بهذه الدرجة مطلقاً ، فأخبرته بما سبق أن قلته له : بأنه لا يصلح للرئاسة إذا كان لا يفهم إن كلام الخديو كان جارحاً أولا .

وقال البك أيضاً أنه لما تسلم عريضتي المحتوية على رفع الاستقالة لم يقدمها في في اليوم نفسه ، وبعد أن تردد في عرضها ـ ولعله بالاهانة التي حصلت أمامه ـ قال في نفسه : « إن الواجب عليه تقديمها حتى يتجنب أفندينا كسر الخواطر » فعرضها عليه في الساعة العاشرة مساء فسأله عن وقت تسلمه لها وعلم أنه كان أخرها عنده فلم يفاتحه في شيء ؛ انما يظهر انه قال شيئاً عن ذلك لرمزي طاهر باشا فقال الباشا لابراهيم بك : « اذهب عند شفيق وهدئه » ولكن أدهم بك تنحى

عن التدخل ، فلما قرأ عريضة سحب الاستقالة قبل إرسالها مع عارف باشا أعجب بها خصوصاً قولى : «إن إخلاصى لا يقدر بمال » .

وفى يوم ٢٦ منه قابلت عباساً عند حضورى الى بيك فقال : « أهلا يا شفيق باشا » وطلع الى السلاملك ، وبعد أن حضر الرؤساء تكلم معهم فى الكتابة التى أرفقتها باسترداد استقالتى ؛ ثم حضر الى يكن باشا وكان فى الغرفة عارف باشا وحاول أن يظهر لى أن ماقاله لى أول أمس ليس هو أن الخديو لم يقصد تكديرى بل ان الكلام الذى أسمعنيه ليس فيه شىء من التكدير ولا التعنيف ، فقلت : ان الذى سمعته أن سموه ما كان يقصد تكديرى ، فقال عارف : « ان هذا معناه إذن أن أفندينا يقول : إنه آسف لما حصل » قلت : لا ، ولا أقصد أن يقول لى سموه إنه آسف ، قال يكن : فأفندينا يقول يجب تغيير هذه العبارة وهى « لا يقصد » حيث تدل على الأسف ، فتقول أن ليس فى كلامه شىء من التكدير ، قلت : حينئذ اعترف بأن غضبى لم يكن فى محله واننى غير محق فيه . قال يكن : إن الغرض ايجاد كلمة غير (لا يقصد) قلت : فليأمر أفندينا بالكلمة التى يريدها

ففهمت أن يكن باشا رأى مؤاخذة من الخديو عما قاله لى أول أمس وأراد أن يتنحى عنه .

ولما طلبنا للمائدة صعدت مع الاخوان فقال : « تفضلوا . تعال ياشفيق باشا » وفى أثناء الطعام وجه لى الكلام فى مسائل عاديه فزال ما كان بيننا من سوء التفاهم ولم يطلب منى تغيير جوابى .

وفى يوم ٢٨ منه جاءنى ماهر افندى فأخبرته بما حصل من استقالتى وأسبابها وطلبت أن لا يبوح بشىء من ذلك لأحد ، وفهمت منه انه لم يحس بامتعاضى ولم يفهم ما حصل من الكلام باللغة العربية .

واليوم علمت من يكن باشا أن عباساً سأله عن الكلام الذى دار بيننا لما أمره بمحادثتى فأجابه بأنه قال لى : « إن الجناب العالى ما كان يقصد تعنيفى » فقال سموه : ولكن من هذه الكلمة (لايقصد) يستدل القارىء أننى أبديت أسفى لما قلته ، فرد الباشا بأن شفيق باشا يقول : انه لا يريد أن يمس كرامة سموكم واذا رغبتم فى ابدال كلمة (لا يقصد) فما على سموه إلا أن يختار ما يريده ، فقال عارف باشا : بل إن شفيقاً مصر عليها ، فرد عليه يكن بالنفى ، وعندئذ قال الخديو : « لندع هذه المسألة الآن » ولذلك لم يقاتحنى عند مقابلته كما سبق

بين الخديو وولى عهده : فى يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٧ أرسل عباس فى طلبى وكذلك أرسل لعارف باشا ، ولما اجتمعنا عنده في الآستانة أخبرنا أنه وردت له بالأمس من نجله ولى العهد رسالة باللغة الفرنسية تتضمن أنه طلب منذ شهر يوليو الماضى من سفارة انجلترا فى برن أن تتصل بالدائرة الخاصة فى مصر وتطلب منها إرسال مبلغ شهرى له من الأموال التي يستحقها هو شخصياً وقد ورد له الآن ما طلبه . ولهذا فانه يرجو والده فى أن يأمر شديد بك الذى كان قد عين من قبل الخديو للبقاء معه فى فريبورج بصفته ناظر الخاصة الخديوية بألا ينفق عليه مع إبقائه في خدمته . وإبقاء شقيقه كذلك ، إذا لم ير سموه مانعاً وأنه لا يزال الابن الخاضع المطيع . ثم أبدى أسفه على أن الحالة اقتضت فعل ما فعله .

وعرض علينا رسالة أخرى من شديد تفيد ما تقدم

وقد كان سموه متألماً من أن شديداً لم يخبره بهذه الاجراءات التى اتخذها نجله فى حينها .

وقد أرسل سموه بعد المداولة معنا رسالة الى الصدر يخبره فيها بالموضوع اتباعاً لسياسة التفاهم التى انتهينا اليها أخيراً .